الإبداع الفني والبيان
في قصص القرآن

دراسة نقدية وأدبية بين قصص الأنام وقصص القرآن

تأليف المؤرخ والمفكر الإسلامي
سمير محمد عثمان الحفناوي
مؤرخ علم الرياضيات وتاريخ العلم والعلماء



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الإبداع الفني والبيان في قصص القرآن

المؤلف : المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٤٥٦٢

الطبعة الأولى ٢٠١٠



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

الإهداء

إلى ثمرة فؤادي......

وروح قلبي ......

وفلذة كبدي...

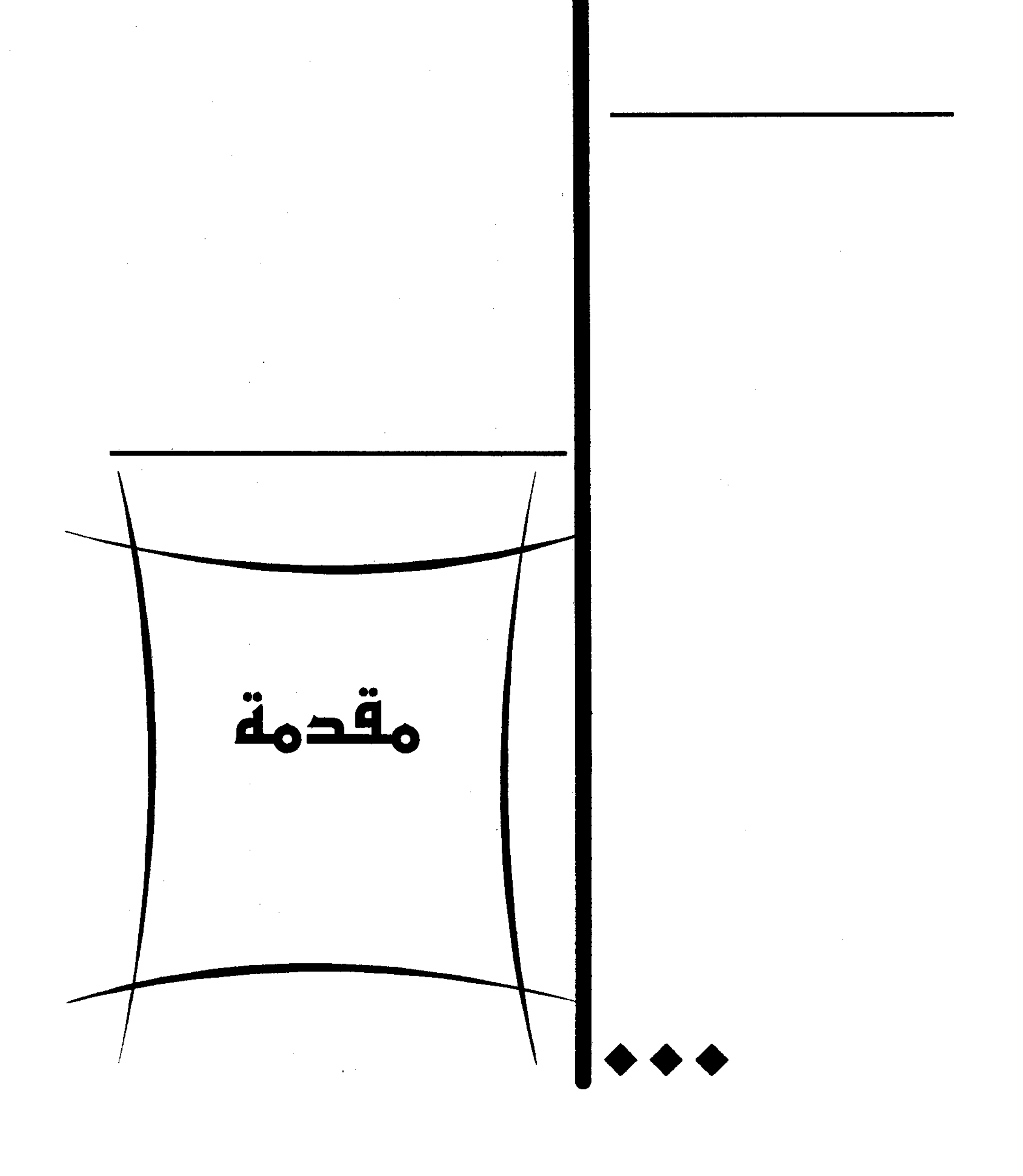
ابنتي الراحلة : ياسمين

أهدى هذا الكتاب لكل من توفى له ولد وكان صابرًا محتسبًا عند الله فلقد ساعدتني ياسمين على جمع مخطوطات العرب والمسلمين وكانت تحرص معي دائمًا على إحياء ذكراهم فى التاريخ أبدَ الدهر وأسأل الله أن تكون ذخرًا لنا فى الجنة وأن يدخلنا الله وإياكم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب ... وأتوسل من القارئين أن يدعوا لى ولوالدتها أن يفرغ الله علينا صبرًا وأن تأخذ بأيدينا إلى الجنة من غير أن يُنصب لنا ميزان أو يُكتب لنا ديوان.

والدك : المؤرخ المصري

سمير الحفناوى





مقدمة



الحمد لله الذي خلق آدم من طينٍ ثم نفخ فيه روحا، ثم اصطفاه للرسالة كما اصطفى من بعده إدريس ونوحا، واتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً وإسماعيل ذبيحا،ونصر هود على عاد، وألان الحديد لداود، ووسع لسليمان في الأرض وسخر له ريحا،وأنقذ لقمان من الأنام وآتاه الحكمة في المنام، فاستيقظ بليغاً فصيحا، ونجى يوسف من الجب وعلمه من تأويل الأحاديث فكان في تعبيره للرؤيا نجيحا، واختص المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم بتمام رسالاته ، وخصه في الجنة حوضاً موروداً ومقاما فسيحا، وأنزل عليه في محكم كتابه الحكيم ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ ﴾. [النَّجم]

أحمده سبحانه على كل حال وعلى نعمه التي ليس لها زوال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... لا ند له... لا مثيل له... شهد لذاته بالربوبية... قبل أن تشهد له مخلوقاته... فقال تعالى في محكم كتابه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران].... وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ [طه]....وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة].

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.... وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه.... بلغ الرسالة وأدى الأمانة.... وكشف الغمة ... ونصح الأمة.... وحمل منهج السماء بأمانة.... بواسطة الأمين جبريل... تنزيل من رب العالمين... ألا وهو القرآن الكريم... ذلك القبس السماوي المنير.... الذي يشع الخطوط المستقيمة للسلوك الفردي... ذلك القبس السماوي المنير... رمزا لكل ما هو حق.... ولكل ما هو عدل.... ولكل ما هو واجب.

أما بعد:

فلم يحظ كتاب من الكتب المقدسة أو غير المقدسة بمثل ما حظى به القرآن الكريم من دراسات حيث نال عناية طوائف عديدة من العلماء منذ نزوله حتى الآن، وسيبقى محل عناية الدارسين واهتمامهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه العناية وذلك الاهتمام ليسا بالأمر الغريب، فلم يعرف على مدى التاريخ كتاب كان سبباً مباشراً في بناء حضارة، وتأسيس ثقافة مميزة غير القرآن الكريم، فهو يحتوي كثيراً من القيم التاريخية والعلمية والأدبية، وهذه القيم تمثل نوعاً من الأسرار، شاء الله ـ سبحانه ـ أن يكشف في كل عصر بعضها على يد بعض من عباده، ولعل ذلك هو السر في تدفق سيل المؤلفات والدراسات التي تخرجها أفواه المطابع في كل يوم من الأيام، فالكل يأمل أن ينفحه الله ببعض نفحاته من هذا القرآن المعجز . وحسب المرء أن يتطلع إلى دراسة قرآنية يجلو بها بعض غوامض القرآن، أو يكشف بعض أسراره، وإن باب القصص القرآني لفسيح ، وساحته لرحبة، تتسع لعشرات الدارسين والباحثين ، فما على المرء إلاّ أن يلجه ويحط بساحته ، مادام يملك أدوات الدخول، ويعرف الطريق إلى الساحة، ومادام يستشرف نبل المقصد ، وطهارة الغاية، فامتلاك الأداة ، وحسن النية ، ونبل القصد، كلها كفيلة ببلوغ المراد كله أو بعضه على الأقل.

إن التوجه إلى القصص القرآني بوصفه مورداً نستقى منه أسس فن القصة لا يعني أن نتعامل مع القرآن على أنه كتاب قصص وتسلية، ولكن لا ينبغي أن ننسى «أن معجزة القرآن معجزة بيانية أساساً ، ولهذا لا ينبغي أن ننكر عليه أن يكون من مقاصده الإتيان بفنون وألوان من فن القصة، ولا نستبعدها عليه، بل المنتظر أن

يكون ما يأتي به منها ليس كمثله شيء، ولا يطاوله فن»[1].

ومن صدق التوجه، بل من سلامة المنهج ،أن ننبه إلى أمر في غاية الأهمية وهو: أن القيم الدينية مقدمة دائما عن القيم الفنية ، في دراستنا للقصة القرآنية، بل كان السعي إلى إثبات تسخير الفن في خدمة الدين والعقيدة من قصص القرآن أساساً قوياً من أساسيات منهج هذه الدراسة ، ولو كان العكس لفسد المنهج، وشاهت النتائج تبعا لفساد المنهج.

وثمة بواعث حفزتني إلى دراسة القصص القرآني هي:

١ ـ أن القصة الفنية شاعت في العصر الحديث ، بما تحمل من مباذل ومفاسد كادت تهدم الأخلاق وتقوضها من أساسها ، وأن شيوعها أوشك أن يواري وجه الشعر العربي الذي اعتز به العرب على مدار العصور، وتعاقب الدهور.

٢ ـ أن من أهم القضايا المثارة في الساحة الأدبية ما يسمى: الأدب الإسلامي، وهي قضية شائكة، والخوض فيها يشبه المشي على الشوك، يدمي الأقدام، ويدعي بلوغ الغاية أمراً جد عسير، ومن أهم جوانب هذه القضية أن بعض المتحمسين لها يريد أن يبدأ التنظير لها من يومنا الحاضر، دون أدنى إلتفاته إلى تراث أسلافنا. وهذه النظرة ـ التي تقطع الرحم بين الماضي والحاضر ـ تأتي في وقت يرى فيه أحد المستشرقين خلاف ما يرى الدارس العربي المسلم،إذ يقول:« إذا أراد الناقد أو المنظر العربي أن يقتبس من الفكر الغربي فإن عليه ـ في البداية ـ أن يرجع إلى أصله العربي، وأن يفهمه فهماً بنائياً،وأن يعي مسئوليته الخاصة فيما يتعلق بالموازنة بين عبء الماضي وقلق الحداثة .

(١) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، د: كاظم الظواهري، ط دار الصابوني، ودار الهداية، الطبعة الأولى،١٩٩١م،١٤١٢هـ، ص٧٤.

وهذا هو منهج المنظر والناقد الغربي في نفس الوقت، فالوعى بين الثقافة الأصيلة وتيار التجديد مسئولية كبيرة يتحملها الناقد والمنظر العربي»[1].

٣ ـ الرغبة في الإسهام في وضع تصور لمنهج أدبي يحكم فن القصة إبداعاً ونقداً، ولا يخفى أن أهم وجوه الإعجاز القرآني بلاغته، التي تتقاصر دونها قدرات المبدعين من البشر مهما أوتوا من فصاحة وبيان. والقرآن هو المثل الأعلى لفنون القول المتعددة، ومنها القصة بطبيعة الحال، ولم لا يكون تميز القصص القرآني أدبياً استمراراً لإعجاز القرآن، خاصة أن علماء الإعجاز نصوا على أن التحدي بالقرآن مستمر في كل العصور وليس مقصوراً على زمن النبوة وحده؟.

٤ـ أن بعض كتاب القصة في الأدب العربي الحديث قد انعطفوا ناحية القصص القرآني، يستوحونه ويتمثلونه، وينسجون على منواله، فكان أحدهم يأخذ القصة القرآنية، ويصوغها في قالب عصري ويغير من أحداثه، وأسماء شخوصه، وربما يخرج بها عن المنهج القرآني في الغاية والبناء الفني على السواء.

٥ـ أن بعض الذين درسوا القصص القرآني قد انحرف عن طريق الجادة، وسار على غير هدى فقال في القرآن مالا يصح قوله، لذا كان من عناية هذا الكتاب تفنيد بعض المزاعم الفاسدة التي لم تحظ بعناية الدارسين عناية مستحقة.

وكانت هذه البواعث ـ مجتمعة ـ وراء التوجه إلى جعل هذه الدراسة عن القصص

(1) من حوار مع المستشرق الأمريكي ياروسلاف ستيتكيفتش، أستاذ الأدب العربي في جامعة شيكاغو الأمريكية . أجرته: سلوى العناني، وعنونت له « الاستشراق الأمريكي والأدب العربي» مع عنوان جانبي « الأصل في النقد هو العودة إلى الجذور وموازنتها بالجديد» .. الأهرام المصرية ـ الجمعة ١٣/ ٨/ ١٩٩٦م، ص:٣.

القرآنية دراسة فنية في معظمها، وأنّ الهدف منها ، هدفاً فنياً في المقام الأول، والهدف الرئيسي منها يتمثل في: استخلاص الأسس الفنية للقصة من القرآن الكريم، وذلك من خلال: استعراض القصص القرآني في توافق بنائه وأساليبه مع مضامينه ومراميه.وللوصول إلى هذا الهدف الأساسي تستعين الدراسة بعرض بعض عناصر القصة على القصص القرآني ـ من الناحية التطبيقية ـ وبعض الأجناس الأدبية ، لبيان دور القرآن الكريم في التأصيل لهذه العناصر. كما تعني الدراسة ـ أيضا ـ بيان المقاصد والأهداف التي ورد القصص القرآني من أجلها بما يوضح: تناسب الهدف من القصص القرآني مع الغاية من القرآن، وانتخاب الأحداث في القصة القرآنية، وتكرارها، مجملة أحياناً، ومفصلة أحيانًا أخر. ويجب ألاّ ننظر إلى القرآن بوصفه نصاً أدبيا فقط، يعرض على منهج الدراسة الأدبية كما لو كان نصاً أدبياً من صنع البشر.

إن القرآن الكريم كتاب دين وتشريع في المقام الأول، وقيمته الدينية والتشريعية هى المقدمة على كل ما عداها، ولكن ينبغي أن نذكر أن النظرة إلى القرآن الكريم قد انفسحت ـ في العصر الحديث ـ فصارت تشمل القيم التاريخية والعلمية والأدبية، بالإضافة إلى القيم الأساسية، أعني القيم الدينية والتشريعية. وبتوفيق الله وعونه خرج هذا الكتاب في ثلاثة أبواب.

وجاء **الباب الأول** تحت عنوان: أسلوب القصة في القرآن الكريم:

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: الفن القصصي وأغراضه.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للأسلوب القصصي في القرآن الكريم

الباب الثاني: القصص الرمزي والواقعي في القرآن الكريم.

ويحتوي على ثلاثة فصول:

(١) القصة الرمزية في القرآن الكريم وفوائدها.

(٢) القصة الواقعية في القرآن وفوائدها.

(٣) الجوانب السمعية والحسية والنظرية في القصص القرآنية.

الباب الثالث: فن السرد والحوار في قصص القرآن الكريم:

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: طبيعة المشهد والحوار في القصة القرآنية.

الفصل الثاني: طبيعة المشهد والحوار في القصة البشرية.

ثم بعد ذلك تأتي الخاتمة ومصادر المعلومات.

وبعد أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب على وجه قريب من الصحة، يساوي ما أنفق فيه من وقت وجهد.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

historian_samir@yahoo.com

الباب الأول



أسلوب القصة في القرآن الكريم

الفصل الأول

الفن القصصي وأغراضه

١ـ مفهوم القصة

أولاً: المفهوم اللغوي.

١ ـ القص: تتبع الأثر. يقال: قصصتُ أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف].

أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[القصص١١].

أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه.

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة.

قال تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [آل عمران٦٢].

وقال: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[يوسف١١١].

والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال، وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعية، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار. وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

قال الشيخ محمد بن عثيمين: «القصص والقص لغة: تتبع الأثر». وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ وذلك لتمام

مطابقتها للواقع.

وأحسن القصص لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾.

وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى

وأنفع القصص لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق[1].

٢ ـ القصة كما عرّفها الأدباء: «حكاية تروي نثرا وجها من وجوه النشاط والحركة في حياة الإنسان».

ثانياً: مفهوم القصة اصطلاحاً.

أما عن تعريف القصة اصطلاحاً فقد عرفت بعدة تعريفات نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ «مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة، أو عدة حوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثر والتأثير»[2].

٢ ـ «حكاية تعرض ـ بأسلوب فني منتظم ـ أحداثاً من الحياة الواقعية أو المتخيلة»[3].

---

(١) انظر أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٢-٥٣).

(٢) انظر: فن القصة،د/ محمد يوسف نجم ص٩ دار الثقافة بيروت.

(٣) انظر: مجلة البلاغة والنقد ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١٧٥/ ١٧٦ط٢ ١٤١٢هـ.

٣ ـ « وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع منها، تتناول حادثة واحدة أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن يكون لها بداية ونهاية».

الخلاصة:

القصة: « تعبير شفهي ، أو كتابي ، أو تمثيلي يتضمن أشخاصاً وأشياءً أو حوادث تجري في حدود الزمان، وخلال أبعاد المكان من عوامل البيئة بأنواعها، والإعلام عن الوقائع والأحداث بطريقة فيها إحاطة بالأحداث والوقائع إحاطة تامة».



٢ـ دور القصة في الأدب العربي

أنكر بعض المستشرقين على العرب قدرتهم على إنشاء القصة،وتزعّم ذلك «أرنست رينان»[١] (Ernest.Renan) المستشرق الفرنسي، و«دي بور»[٢] (de Boer).

وقد سلك كثير من الدارسين والباحثين العرب هذا الطريق مثل «أحمد أمين»[٣]، «وتوفيق الحكيم»[٤]،«والعقاد»[٥].

ولقد اشتهر العرب بأنهم أصحاب بيان، ولذلك جاء القرآن الكريم معجزة الإسلام البيانية فيهم لما عُرف عنهم من الافتنان في أساليب القول ووجوه الفصاحة، الأمر الذي ساعد على أن يكون لهم حظ من القصص والحكايات[٦] وتاريخهم الأدبي لا يخلو من ألوان القصص العديدة[٧].

والواقع أن القصة العربية قديمة قدم العرب أنفسهم، أصيلة أصالة النثر العربي الذي ذهب منه شيء كثير، وبقيت منه آثار تدور حول أمثال العرب وأيامهم و مآثرهم. ولاشك أن عنصر القصة في الأدب العربي القديم، قديم أصيل يكفي للتدليل عليه بواحدة من مظاهر عدة كلها تؤكده في منطق قوي ثابت، وأعني بذلك

(١) أرنست رينان:تاريخ اللغة السامية،ص٥٤٠.

(٢) ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام،ص٢٦.

(٣) أحمد أمين:فجر الاسلام،ص٤٦:٤٢.

(٤) انظر: تحت شمس الفكر،ص٦٣.

(٥) الفصول وما نقله عنه«رادمير» في دراسته عن محمود تيمورص١٥.

(٦) د.محمد حسن النبوي:القصص الحديث النبوي،ص٥٢.

(٧) المرجع السابق ، ص٥١.

اللغة والقرآن الكريم وواقع الحياة.

ولنعطي نبذة تاريخية عن المستشرق «أرنست رينان» الذي لم ينصف القصة في الأدب العربي لنبصر القارىء بصورة عامة حول هذه الافتراءات.



المفردات	البيانات الشخصية
الاسم	جوزيف أرنست رينان
تاريخ الميلاد	٢٨ فبراير١٨٢٣م.
مكان الميلاد	منطقة بريتاني الواقعة غربي فرنسا
تاريخ الوفاة	١٢أكتوبر١٨٩٢م
مكان الوفاة	باريس
الجنسية	فرنسي
المهنة	مؤرخ، كاتب مسرحي، فيلسوف،عالم آثار
الحالة الاجتماعية	متزوج في عام١٨٥٦

المفردات	البيانات الشخصية
آراءه السلبية	«إذا ما فشل المسلمون في التحديث، فإن سجلهم العنيد في التخلف والجهل والفقر والتشدد والطغيان.. سوف يتواصل ويزداد كما تقول جريدة النيشن ريفيو فالسجل العنيد في التخلف، لشعوب دون أخرى، إنما يشي بحكم لا راد له، من حيث هو معطى طبيعي، مقذوف بجوهر مجبول على الفطرة لسلالات انحطاطية، لا دور لها في البناء العالمي، إلا العنف والتخريب وسفك الدماء.. إنها الفارق بين الفوقية والدونية كما رسمت لها التوراة بين شعب مختار وشعوب محكومة باللعنة السماوية وسوء المصير دون ذنب منها!
آراءه الإيجابية	«لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه»



٣ ـ آراء المؤرخين المنصفين للقصة في الأدب العربي

يقول «كارل بروكلمان» (*Carl* Brockelmann) في حديثه عن أولوية النثر: « لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إليه الأعين عند عرب الجاهلية، بل كان القاص يقوم أيضاً مقاماً هاماً إلى جانب الشاعر في سمر الليل بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة وفي مجالس أهل القرى والحضر»[١].

ويقول«بارون كاردي فو» (B.Carrade Vaux):«إنه لم يسبق الأدب العربي أي أدب آخر في نوع الأقاصيص»[٢].

ويقول «جوستاف لوبون»: «(Gustave Le Bon) أتيح لي في إحدى الليالي أن أشاهد جمعاً عربياً من الحمالين والأجراء يستمعون إلى إحدى القصص، وإني أشك في أن يصيب قاص مثل ذلك النجاح لو أنشد جماعة من فلاحي فرنسا شيئاً من أدب«لامارتين» أو«ساتوبريان»... فالجمهور العربي ذو حيوية وتصور يتمثل ما يسمعه كأنما هو يراه»[٣].

ولنعطي نبذة عن البيانات الشخصية لكل منهم:

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي ج١ ص١٢٨ دار المعارف ص٣ ط١٩٦٢م.

(٢) انظر: القصص في الأدب العربي ـ محمود تيمورص٢٤.

(٣) انظر: الأدب القصصي عند العرب ـ موسى خليل سليمان ص١٥.

كارل بروكلمان



المفردات	البيانات الشخصية
الاسم	كارل بروكلمان
تاريخ الميلاد	١٨٦٨م.
مكان الميلاد	مدينة رستوك ـ ألمانيا
تاريخ الوفاة	١٩٥٦م.
مكان الوفاة	مدينة هاله ـ ألمانيا.
الجنسية	ألماني.
المهنة	مؤرخ .

جوستان لي بون



المفردات	البيانات الشخصية
الاسم	جوستاف لي بون
تاريخ الميلاد	٧مايو ١٨٤١م.
مكان الميلاد	نوجنت ـ لي ـ روتريو ـ فرنسا.Nogent – Le - Rotrou
تاريخ الوفاة	١٣ ديسمبر ١٩٣١م.
مكان الوفاة	مارنيز لا كوكيوت ـ فرنسا.
الجنسية	فرنسي.
المهنة	مؤرخ ـ عالم نفس

كارادي فو

المفردات	البيانات الشخصية
الاسم	كارادي فو
تاريخ الميلاد	٣فبراير١٨٦٧م.
مكان الميلاد	مدينة بار ـ على نهر الأرب Bar- sur- aube
تاريخ الوفاة	١٩٣٠م.
مكان الوفاة	باريس.
الجنسية	فرنسي.
المهنة	مؤرخ .

ويقول الهمداني:« لم تصل أخبار العرب والعجم من أحد إلا من العرب، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارة،فيعرضون أخبار الناس،وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم عَلِم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونان،ومن سكن بالبحرين فعنه أتت أخبار السند وفارس،ومن سكن باليمن علم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان في ظل الملوك السيارة»[1].

وقد كانت هناك أمور كثيرة تدفع إلى الاهتمام بالقصة في المجتمع العربي وتشجع على ازدهارها فوق ما تحققه للناس من المتعة والتسلية، وذلك أنها تشتمل على مظاهر من تمجيد القبيلة والإشارة بماضيها وذكر أسلافها،والتعريف بمآثرها

(١) انظر: كليلة ودمنة في الأدب العربي، د/ ليلى حسن سعد الدين ص١٣٤ ـ مكتبة الرسالة ـ عمان.

ومفاخرهم،فكان ترديد قصص أيامهم وأخبار وقائعهم وانتصاراتهم أمراً محبباً إلى نفوسهم إلى حد كبير، كما كانت مصدراً من مصادر المعرفة والخبرة سواء كانت عن مجتمعهم وبيئتهم في ماضيها،أو من يجاورهم من شعوب أخرى وما لها من تاريخ وأعراف وعادات....

والقصة في المجتمع العربي كانت تؤدي وظيفة تربوية وأخلاقية لما تحمله من قيم فاضلة وألوان من الحكمة، وبخاصة تلك القصص الرمزية التي تساق على ألسنة الطير والحيوان والتي كانت في مغزاها دروسا توجيهية غير مباشرة.

وهكذا فإن الواقع المحسوس للقصة العربية من أكبر الأدلة وأقواها على أهمية العنصر القصصي في حياة العرب الأدبية،فإنهم يعرفون هذا اللون من التعبير ويمارسونه بالفعل،وهو لون امتد معهم طوال تقلبات الأحداث التاريخية،وظل تياراً متدفقاً يزيد مع الأيام ويتنوع إلى يومنا هذا.

يقول ابن الجوزي: « لصنعة الكلام سحر في النفوس إذا أصاب في القلوب موضع الإحساس،فيسلب سمع السامع وعقله وبالتالي إعجابه».



٤ـ القصة في الاسلام

يرى بعض العلماء أن القصص لم يكن موجوداً في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا حياة أبي بكر و عمر ـ رضي الله عنهما ـ وذلك بسبب اجتماع كلمة المسلمين،وقرب عهدهم بالنبوة.

وإنما أحدثت في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حين كانت الفتنة بين الصحابة،وكان قاصراً على الموعظة الحسنة والتذكير ونحوه.

قال السيوطي:« لم يقص في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولا زمان أبي بكر ولا زمان عمر، وإنما كان القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة».

وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن عمر قال:« لم يقص على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر،ولا عهد عمر،ولا عهد عثمان،إنما كان القصص حين كانت الفتنة».

وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله:« ولا زمن أبي بكر،ثم قال:وأول من قص تميم الداري،استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائماً فأذن له»

الخلاصة:

رغم اختلاف الرواية في زمن حدوث القصص إلا أنّ ذلك لا ينفي حدوثه بل يثبته،ويمكن إزالة الخلاف بأن نقول:لعله كان قليلاً في زمن عمر وعثمان ثم كثر بعد مقتليهما ـ رضي الله عنهم أجمعين .

أول من قص من الصحابة: الأسود بن سريع.

أول من قص من التابعين:عبيد بن عمير الليثي (بمكة).

أول من قص في مسجد المدينة: مسلم بن جندب.

أول من قص في مسجد البصرة:جعفر بن الحسن البصري.

من مشاهير القصاصين في القرن الأول الهجري:

١ ـ عبد الله بن سلام.

٢ ـ كعب الأحبار.

٣ ـ وهب بن منبه.

٤ ـ طاووس بن كيسان.

من مشاهير القصاصين في القرن الثاني الهجري:

١ ـ موسى بن يسار.

٢ ـ أبو علي الأسواري، وهو عمرو بن فائد.

٣ ـ القاسم بن يحي، وهو أبو العباس الضرير.

٤ ـ مالك بن عبد الحميد المكفوف.

٥ ـ صالح المري،وكنيته«أبا بشر»

هؤلاء قصاص من ذوي الشهرة الذين ذكرهم الجاحظ، وهناك غيرهم كثيرون. والقصاص لم يكونوا حجة، ولا موضع ثقة تامة في كل ما يذكرون، فقد يزيدون في الأخبار. وقد يذكرون أحاديث ضعيفة، وقد يضعون أحاديث، وقصص الأنبياء التي يذكرونها مستقاة من مصادر يهودية أو نصرانية. وقد كان «وهب بن منبه» «وكعب الأحبار» من مصادر هذه الأخبار، وظهر هذا النوع منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه:«إذا حدثكم أهل

الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».

وكان ذووا العلم لا يميلون إلى سماع أكثرهم، وكان «سفيان بن حبيب»، قد فر من البصرة فتوارى عند «مرحوم بن عبد العزيز العطار»،فقال له:«هل لك أن تأتي قاصاً عندنا هنا فتتفرج[1] بالخروج والنظر إلى الناس والاستماع منهم ؟ فأتاه على تَكَّره،كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه»[2].



(١) تبعد عنك السأم وتفرجه.

(٢) انظر:البيان والتبيين للجاحظج١ ص٣٦٩.

٥ ـ عناصر القصة البشرية وعناصر القصة القرآنية

عناصر القصة عند الأدباء تختلف عن عناصر القصة القرآنية من حيث المضمون ، من أجل ذلك رأيت أن أعرض عناصر القصة في العمل الأدبي ، وعناصر القصة القرآنية ، حيث أنّ كثيراًمن الباحثين لايلقون الضوء على هذه النقطة.

أولاً :عناصر القصة عند الأدباء.

للقصة عناصر لابد من توافرها[١]:

أ ـ الأحداث: وهي وقائع تعرضها القصة، وقد تكون مقتبسة من حياة المؤلف، أو مما شاهده أو سمعه. وتكون في القصص الطويلة سلسلة من الوقائع وبينما تكون في القصة القصيرة حادثة واحدة.

ب ـ الشخصيات:

وهم الذين يديرون الأحداث ويتأثرون بها، وتعرض القصص نماذج متنوعة من الشخصيات الإنسانية، وبقدر ما تكون الشخصيات نابضة بالحياة، ممثلة لأنماط مختلفة من السلوك والطبائع البشرية يكون نجاح القصة وتأثيرها في الملتقى.

ج ـ البيئة:

وهى المكان والزمان اللّذان تجري فيهما الأحداث، وإن كان القاص يصور حدثاً في العصر الحديث فعليه أن يصور زمانه ومكانه بدقة لتكون معبرة ومؤثرة.

د ـ الحبكة:

وهى الأسلوب الفني الذي تبني فيه القصة ، والطريقة التي تتحرك بها

---

(١) انظر: القرآن والقصة الحديثة ـ محمد كامل حسن المحامي ص٩ دار البحوث العلمية بالكويت.

الأحداث والشخصيات، وقد يجعل المؤلف الأحداث متوالية ومتشابكة،أو تتوالى متوازية، ومن المهم أن تكون الأحداث مشوقة، يرتبط أولها بتاليها ، فالتشويق يعتبر من أهم شروط القصة الناجحة بل يكاد يكون هو العنصر المميز لها سواء كانت قصيرة أو طويلة ، ولابد أن يسير في طريقة تصاعدية.

هـ - الفكرة:

وهى القضية التي تحملها القصة، وتكون مبثوثة خلال الأحداث والشخصيات، فلا نجدها في عبارة واحدة، أو فصل معين، بل نعيها بعد عرض القصة وسماعنا لها أو قراءتها كلها.

وكما أن لكل قاص بناءه القصصي وشخصيته المميزة، كذلك لكل قصاص وسائله التعبيرية رغم أنه يستخدم نفس الألفاظ التي قد يستخدمها غيره من القصاصين ولكنه يصوغها صياغة جديدة فيها شخصيته وروح عصره.

ثانياً: عناصر القصة القرآنية.

كما علمنا من قبل أنّ القصة القرآنية: مجموعة من الأحداث متتالية الوقوع تأخذ في تسلسلها المتتابع معنى القص، وبما أنها كذلك فإن عناصرها هي نفس عناصر

كل فعل، أي المكان والزمان ونسبة الحدث إلى فاعل أو محدث، ثم أخيراً الحدث بوصفه الغاية من القص، وكل هذه العناصر متغلغلة في نسيج القصة، وجزء أصيل ومتأصل فيها، ولا تنفك عنها وعن مفهومها، ولا تصور لأحداث القصة بدونها.

غير أن النقطة المحورية في القصة القرآنية ومرتكزها الأساسي هو الحدث وحده، مجرد عن المكان والزمان وعن نسبته إلى فاعله ومحدثه، وهو أمرٌ فرضته طبيعة القصة القرآنية، وحتمته وظيفتها الفريدة في سياق المنهج القرآني العام. وضمن العقيدة في مفهومها المعرفي.

أما العناصر الأخرى فتغدو بعد تجردها التام معاني هي بالفعل جزء مفهوم من الحدث، وملحوظة فيه على وجه التفصيل، ولا يراد بها إلا خدمة الحدث وإظهاره للوجود، ولكنها ليست مرادة لذاتها بأي وجه من الوجوه.

ولكى تكتمل الصورة لدينا نوضح عناصر القصة القرآنية كالتالي:

أ ـ المكان:

فالمكان مثلاً كما يجيء ضمن الأحداث: هو الموضوع الحاوي لكل حدث ومستقره، فهو له أشبه شيء بالوعاء، ومن البديهي أن لا يتصور حدث إنساني بلا موضع ومستقر، إن لم يكن فعلياً فعلى الأقل ذهنياً، لأن المكان يقف وراء كل حدث، وخلف كل واقعة، وإن لم يذكر أو يتصور إذ لا يعقل حدث إلا وهو جار في بعد يحويه ، وموضع يشغله، ومن هنا جاءت أهمية المكان للحدث كعنصر لابد منه، بيْد أن المكان لا يؤثر في الحدث تأثير الإيجاد، إذ هو كما رأينا منفصل عن الحدث ، وجريان الأحداث في تدفقها الزماني يسقط المكان.

ولم يرد في القرآن ذكر لمكان ما يرفعه فوق مستوى الحدث ، ولم يلتفت إليه التفاتاً يبعده عن دائرة العمومية والإطلاق ، ويقربه إلى خصوصية التعيين، وإذا ذكر بالتعيين فإنما يذكر لدواعي المعرفة، ولضرورة فرضتها أحداث القصة بحيث لا يتصور الحدث بدونه، وذلك لأن المَعْنِى بالذِّكر هو الحدث وحده. فمثلاً يقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص].

والمدينة هنا هي مدينة فرعون، وقد دخلها موسى بالفعل، وهي أحد المواقع التي جرت فيها أحداث القصة، ولذلك خُصَّت بالذكر تخصيصاً مبهماً، إذ تصور

الأحداث متوقف عليها، ومرهونة بها، ولما لم تذكر لتعذر تتابع الأحداث في مجراها الطبيعي. أما المواضع التي خُصَّت بالذكر كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾. [الأحقاف].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾. [الحجر].

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾. [طه].

فإما بقصد الشرح والإبانة، أو لإقامة الحجة والشهادة على قوم بعينهم، أو لأنها مواضع لوقائع جرت، أو لأحداث مضت ارتبطت بأماكنها، فوردت وأثبتت لمقتضيات ولضرورة ودواعٍ ليس من بينها الأحداث المخصوصة، لأن الموضع مهما التصق ومهما بلغ من الأهمية، فقد أُعدّ منذ البداية وهيأ له ، ولكنه لا يتغلغل في الأحداث، ذلك التداخل الذي يؤثر في بنية الحدث.

ب ـ الزمان:

والزمان من حيث الإبهام والعمومية كالمكان تماماً ، لأن الزمان يحدد الشريحة الزمانية التي تمت في إطارها الأحداث ، فإذا أنجزت قيل إنها أحداث وأفعال ماضية ،أي بعدت عن الزمان الذي وقعت فيه، فهي على هذا نفذت في زمان سابق على الزمان الذي قصت فيه أخبارها، ولا وجود مادي ساعة الكلام عنها، وما بقي لها من وجود هو المعرفي والعلمي.

وعلى هذا فالماضي يعطي للأحداث زمانية حدوث فيعبر عنها بأنها أحداث قد تقدم أو سبق زمانها،لإنجازها في زمن غير الزمن الذي قصت فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾.[الزُّخرف].

أي الذين نفذت أفعالهم في وقت سابق، وبقيت أخبارهم تحكي عما فعلوه، وتقص ما أنجزوه من أعمال.

وفي القصة القرآنية ورد الزمان مطلقاً بلا قيد، اللهم إلا قيد الماضي وحده، وحتى هذا القيد أُبهم على نحو فريد جعل الماضي كله ماضياً قرّبِ فيه البعد الزماني إلى حد بات معه الزمان لا هو زمان موغل في القدم ، ولا هو زمان حديث في وقت الإعلام عنه، بل هو زمان مرت فيه أحداث سابقة على كل من أخبر أو أعلن عنهم. وبذلك ألغت القصة الحاجز الزماني بعد الحدث الماضي وبين الوقت الذي يخبر فيه بالحدث، بحيث يتلقاه المقصوص عليه وكأنه حدث سابق على وجوده ، وسبقه قريب يثير انتباهه بشدة إلى شيء عظيم القدر وهنا تصبح الوقائع لقربها منه وقائع يمكن الشعور بها، وإن استحال عليه رؤيتها رؤيا العين.

ونظرة متأنية على الماضي كما أضمر في القصة القرآنية التي ترينا كيف أن الماضي هو ماضي لمن سمع بوقائعها، لا بوصفه ماضياً للأحداث والوقائع لأن الماضي قد جُرِّد من صبغته الزمانية وتحول إلى زمان فيه استمرارية تجري حية في حاضر كل متلقّي للقصة القرآنية. ولعل هذا يفسر لنا ما لوحظ من كون كل وقائع القصص لم تنسب إلى زمان بعينه، وإنما نسبت إلى الماضي وحده وذلك حتى يكون الماضي في خدمة الحدث،فإذا قيد الزمن أو حدد تحديداً يفقده عموميته فقد الحدث قيمته كمرتكز جوهري للقصة، ومن ثم تفقد القصة أهم دعامة من دعائمها.

ما هي الأزمنة في القصة؟

تنقسم الأزمنة في القصة إلى ثلاثة أنواع هي:

١ـ زمن القص «الحدث» وهو الزمن الذي يستهلكه الحدث لوقوعه فهو أكثر مطاطية وحركة.

٢ـ زمن السرد «الحكاية» وهو زمن كتابة القصة أو زمن الخطاب أو زمن نقل القصة..

٣ـ الزمن النفسي وهو الإحساس الذاتي والشعور بمرور الزمن من عدمه وهو زمن متعلق بالإنسان نفسه يطبق في القصة على أبطالها ويتم التعبير عن هذا الزمن من داخل الشخصية «على لسانها» أو من خارج الشخصيات على لسان السارد «الخطاب»..

وتتوالد تقنيات معينة من تداخل هذه الأزمنة مع بعضها البعض...

المفصليات الزمنية

هي التقنيات التي يعتمد عليها كاتب القصة في خلخلة الترتيب التقليدي للزمن «ماضي / حاضر / مستقبل» للوصول إلى فعالية الأحداث وإبراز الأهم منها بعيداً عن رتابة الزمن ومن هذه التقنيات:

١ـ الترتيب: خلخلة مرور الزمن بترتيبه التقليدي «ماضي/ حاضر/ مستقبل» منها:

أـ الاسترجاع وهو تقديم الماضي على الحاضر.

ب ـ الاستشراف وهو تقديم المستقبل على الحاضر

ت ـ التتابع الأسلوبي التقليدي للزمن.

٢ـ المدة: وهي تسجيل الزمن الذي يشغله القصة على مستوى الخطاب ومنها:

أـ الخلاصة وهو اختزال الحدث.

ب ـ الوقفة وهو توقف الزمن على مستوى الخطاب.

ت ـ الحذف / وهو غياب وحدات زمنية موجودة.

ث ـ المشهد/ وهو تساوي الخطاب مع القصة.

ج - القطع/ وهو القفز على الزمن أو استحضار أزمنة أخرى.

٣- التواتر: وهو تسجيل تكرار الحدث على مستوى القصة ومنه:

أ- يروي أكثر من مرة ماحدث مرة واحدة.

ب - يروي أكثر من مرة ماحدث أكثر من مرة

ت - يروي مرة واحدة ماحدث مرة واحدة

ث - يروي مرة واحدة ماحدث أكثر من مرة

وهذه التقنيات مجتمعة تجعل القصة نصاً غير تقليدي في وضعية الزمن...

الترتيب في القصة القرآنية

لم تغب القصة القرآنية عن المشهد النقدي بل احتوت كل جوانبه التي تم ذكرها سابقاً فإذا اعتبرنا زمن نزول الآيات القرآنية هو زمن السرد فيكون لدى القصة القرآنية أربعة أنواع للزمن هي:

١ - زمان السرد يكون متأخراً عن زمن القص «الاسترجاع»

وهذا في أغلب القصص القرآنية إذ يقص الله سبحانه وتعالى على نبيه أخبار الرسل السابقين وتختتم الآيات في أغلب هذه القصص بتذكير الله لنبيه فضله بهذا القص الذي لم يعلمه هو من قبل بألفاظ متعددة منها:

- ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

- ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف].

- ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[القصص].

- ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القصص].

- ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾. [القصص].

مع التركيز على لفظة «**وما كنت**» في كل مرة كاسترجاع مقصود إلى ذلك الزمن القديم وتذكير بفضل هذا الاسترجاع في هذا القرآن في القصة بالذات لأنه لا علم للنبي ولا لكفار قريش بهذه التفاصيل ولا بالقصص تلك ويجمع هذا الأمر كله قول الله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

٢ـ زمن السرد سابق لزمن القص «الاستشراف»

ويظهر هذا جلياً في حوادث الآخرة ونهاية الظالمين وشرح أحوال المؤمنين والكافرين ـ على السواء ـ في الجنة والنار والحوارات التي تدور بينهم بحيث يصير حاجز السرد «الخطاب» هو حاجز الأحداث فيصبح المتلقي متفاعلاً يحيا واقع الأحداث ونلاحظ هنا تغليب فعل المضارع في عرض هذه الوضعية من الأحداث وتلعب الأحداث دوراً رئيساً في عرض المشهد الأكثر توتراً في القصة وهذه التقنية «الاستشراف» لها خصوصيتها في القرآن الكريم وذلك بسببين:

١ـ طبيعة صاحب الخطاب «الله» فهو عالم الغيب والشهادة وله الحق في الاستشراف.

٢ـ إن القصة في القرآن هي وسيلة من وسائل الدعوة والوعظ ويبلغ أعلى

درجات الوعظ بمشاهدة المتلقي لمصائر الظالمين فكانت تقنية الاستباق.

٣ـ الزمن النفسي «سبق تعريفه»

ظهر واضحاً في قصص القرآن الكريم على أسلوبين :

١ـ على لسان شخصيات القصة فيتحدثون عن زمنهم النفسي«الذي لاشك ينفصل عن الزمن الواقعي الخارجي» واقرأ معي: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾. [غافر].

رغم قصر اليوم لكنه سيكون ذي فائدة لديهم ـ كما يظنون ـ لأنه لديهم كبير جداً «نفسياً» لوجود العذاب..

٢ـ الخطاب السردي هو المتحدث عن زمن الشخوص النفسي لأن المتحدث الله الذي يعلم السر وأخفى فيعلم زمن الأشخاص النفسي وتقلبهم فيه واقرأ معي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإنسان]. ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس].

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[الرُّوم]. وغيرها من الآيات.

موضوع الآيات الأولى هو يوم الحساب ،فطول هذا اليوم مقارناً بالزمن الأرضي هو خمسون ألف سنة،فالمدة التي يقضيها المؤمن والكافر في هذا اليوم العصيب هي نفس المدة، ولكن الإحساس بها،وتقدير طولها وقصرها يختلف بينهما اختلافاً شديداً فالمؤمن يراه يوماً قريباً قصير المدة، أما الكافر فيثقل عليه ثقلاً شديداً ،فهو يستطيل «ذلك اليوم لشدته» وهوله.

ويفسر هذا المعنى حديث رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري قال:قيل لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» :يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» ،وإمعاناً في الدلالة على طول هذا اليوم على الكافر،وفي التعبير على شدته عليه استعمل القرآن الكريم لفظ «**الثقل**» مع أن العادة أن يقال :زمن طويل أو قصير ،لا ثقيل أو خفيف،والحق أن القرآن في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإنسان]، قد استعار الثقل لشدة اليوم وهوله، ولعظم وقعه على نفس الكافر، فهو ثقيل ثقلاً معنوياً على نفسه،لا ثقلاً حسياً على جسده، وقد وصف الزمن ـ كذلك ـ بالثقل في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ ﴾ [الأعراف١٨٧] ،وهذا الثقل في «**الساعة**» إنما هو لفقد العلم بها «فإن المجهول ثقيل على النفس،ولا سيما إذا كان عظيماً».

ويرتبط هذا **بالنظرية النسبية وماهية الزمن** لديها فمرة سُؤِلَ **اينشتاين** ـ صاحب النظرية النسبية ـ عن معنى النسبية فقال «لأن تقعد مع امرأة جميلة ساعتين تحس أنهما دقيقتين ولأن تجلس على موقد دقيقتين تحس أنهما ساعتين هذه هي النسبية».

٤ـ الزمن التتابعي

هذا الزمن بعيد عن زمن السرد والقص لكنه زمن تمر فيه القصة بتتابع منطقي تقليدي دون تخلخل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل وقد وجد له قدم في القصص القرآنية ليخدم سرد القصة بسلاسة في إنسيابية متتابعة ونلاحظ ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف وتركزت الأحداث على الحوارات والحركة دون تدخل من السارد «الخطاب» لتصل في الآخر

إلى نهاية وعظية مطلوبة.

تقنية القطع والحذف

أولاً: القطع:

من التقنيات الزمنية الخاصة التي تعني القفز عن زمن معين أو استحضار أزمنة أخرى ونجد هذا في القصص القرآنية بشكل واضح في قصص الأنبياء حيث يتم القفز من زمن القصة إلى الخاتمة في الآخرة خصوصاً في السور التي تناولت القصة بشكل مقتضب كما في سورة النازعات والعنكبوت اللتين لم تفصلا في قصة موسى عليه السلام كما فصلت سورة طه أو يونس ..وتظهر خاصية القطع أيضاً في استحضار مفردات زمنية غائبة تخدم القصة ليست على ترتيب القصة ففي قصة موسى عليه السلام مثلاً في سورة الأعراف ذكرت السورة زمنين متعاصرين في وقت واحد قصة هارون مع قوم موسى عليه السلام أثناء ذهاب موسى عليه السلام إلى ربه وما دار بينهم من جدال حول العجل وهو نفس الجدال الذي فصلته سورة طه تداخلا مع قصة السامري، في نفس الوقت قصة موسى عليه السلام مع ربه وأخذه الألواح وطلبه رؤيته لله وما يمكن أن نطلق عليه عبارة «وفي تلك الأثناء» لتعاصر الحدثان تقوم القصة باستحضارهما معاً في خاصية القطع..

ثانياً: الحذف:

يتناوب الحذف والقطع على تجاوز أحداث لا تفيد القصة بشيء وتقفز مباشرة إلى قلب التوتر في القصة والتخلص من الهامشيات التي لا تخدم القصة في شرحها بشيء ففي قصة موسى عليه السلام مثلاً في سورة طه انتقل الحديث مباشرة من موقف حديث موسى عليه السلام مع ربه إلى موقفه في قصر فرعون ثم قفزة إلى يوم الزينة وكثير من القصص تقوم على هذه التقنية بحيث يكون الخلط بين تقنية الحذف

والقطع لخدمة أغراض القصة من حيث الإيجاز...

تقنية الوقفة والخلاصة

أولاً: الوقفة:

على النقيض من تقنية الحذف والقطع كانت الوقفة وهي امتداد الزمن لوضعية معينة قد تأخذ من الزمن قطعاً كبيراً كان أو صغيراً لكن القصة القرآنية وقفت معها طويلاً شارحة أوضاعها لهدف معين وهو إبراز هذا الحدث كمحور مؤازر في حركة القصة والملاحظ على هذا الحدث أنه لا يتكرر مع تكرر القصة في سورة أخرى«فلا يظهر هذا الحدث إلا مرة واحدة» ومثال على ذلك قصة مؤمن آل فرعون الذي فصلته سورة غافر ولم يظهر ثانية في كل السور التي تناولت قصة موسى عليه السلام وكذلك قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام في سورة الكهف حتى يمكن اعتبارهما كقصتين منفصلتين عن قصة موسى عليه‌السلام وكذلك قصة النمرود مع نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة وغيرها من الفروع في القصص الكبرى.

ثانياً: الخلاصة:

اختزال الحدث والقفز منه إلى العبرة المطلوبة منه، لأن المناط بالقصص القرآنية هو العبرة تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾. [يوسف].

وليس التركيز على الحدث هو المطلوب بقدر أخذ العبرة وإذا كان كذلك نجد القصة القرآنية في هذه النقطة لا تفصل بل تمر مر الكرام بشكل مختصر (آية أو آيتين الهدف) هنا إبراز هدف معين تسوقه القصة منذ البداية خصوصاً في السور التي

ذكرت عدداً كبيراً من الأنبياء..

تطبيق عن الزمان في القصة القرآنية:

نسوق مثالاً يبين أن القرآن الكريم يكسر حواجز الزمن الماضي والحاضر والمستقبل وهو ما لا نجده في القصص البشرية:

لنتأمل هاتين الآيتين في صفة بني إسرائيل وكيف عبَّر عنهم البيان الإلهي:

١ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)﴾ [البقرة].

٢ - ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾ [النساء].

إن عبارة ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ لم ترد في القرآن كله إلا في هذين الموضعين وكما نرى الحديث دائماً على لسان بني إسرائيل، وكأن الله تعالى يريد أن يقول لنا بأن هذه الكلمة لا تليق إلا بهؤلاء، فهي لم ترد على لسان أي من البشر إلا بني إسرائيل!

هذه الحقيقة نكتشفها اليوم لنعلم حقيقة هؤلاء اليهود الذين حرفوا كلام الله سبحانه وتعالى، لذلك جاءت كلمة ﴿وَعَصَيْنَا﴾ لتعبر تعبيراً دقيقاً عن مضمون هؤلاء.

التدرج البياني

وقد لاحظتُ شيئاً عجيباً في هاتين الآيتين:

١ - الآية الأولى جاءت بصيغة الماضي ﴿قَالُوا﴾، فهذا يدل على ماضيهم

وتاريخهم في المعصية. ولكي لا يظن أحد أن هذا الماضي انتهى جاءت الآية الثانية بصيغة الاستمرار ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للدلالة على حاضرهم ومستقبلهم في معصية أوامر الله تعالى، فهم في حالة عصيان مستمر. ولم يكتفوا بعصيانهم بل أغلقوا قلوبهم وغلفوها بغلاف من الجحود والكفر والعصيان، ويأتي البيان القرآني ليصف قلوب هؤلاء على لسانهم، ولنستمع إلى هاتين الآيتين:

١ - ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة]

٢ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

وهنا من جديد نجد أن عبارة ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لم ترد في القرآن كله إلا في هذين الموضعين، وهذا يثبت أن كلمات القرآن تُستخدم بدقة متناهية فكلمة ﴿غُلْفٌۢ﴾ هي كلمة خاصة ببني إسرائيل بل لا تليق هذه الكلمة إلا بهم.

ولكن هنالك شيء أكثر إدهاشاً، فالآية الأولى جاءت على صيغة الماضي فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ لتخبرنا عن ماضي هؤلاء وحقيقة قلوبهم المظلمة، ثم جاءت الآية الثانية بصيغة الاستمرار ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ لتؤكد حاضرهم ومستقبلهم أيضاً، وهذا التدرج الزمني كثير في القرآن، فتسلسل الآيات والسور يراعي هذه الناحية لذلك يمكن القول بأن القرآن يحوي من الإعجازات ما لا يتصوره عقل: لغوياً وتاريخياً وعلمياً وفلسفياً وتشريعياً، ألا نظن أننا أمام منظومة إعجازية متكاملة في هذا القرآن؟

ج - نسبة الحدث:

أما نسبة الحدث إلى المحدث فهي نسبة تامة، سواء ذلك معروفاً باسمه أو وصف

بصفة اشتهر بها، أو عزى إلى قومه ، أو نسب إلى مكان بعينه ، فالنسبة إليه ظاهرة وصحيحة، لأن الوقائع في روايات القرآن هي كما حدثت بالفعل فيستحيل صرف سياق المنهج الرباني ، ويرمي إلى غاية يتخطى فيها نسبة الحدث إليه، أي يتخطى خصوصية الأحداث، وينفذ بعمق في بنية الحدث، ولأجل تجرد القصة القرآنية الفاعل من خصوصية أحداثه، والحدث نفسه من نسبته إليه.

والقصة القرآنية في إيرادها للأشخاص المحدثين لا تقصدهم من حيث ذواتهم المعينة في سياق الوقائع المعروفة، إذ يجرد ذلك التحديد الشخصية من سمة العمومية وبالتالي يخرج وقائعها عن نطاق القصة لتدخل بكل ثقلها الإحداثي في بنية التاريخ وتذوب في نسيجه الذاتي لتكون جزءاً منه ، ومن ثم تفقد خاصية المثال والأنموذج بكل ما يحمله من قابلية التكرار والإعادة فتجمد وقائعها في حدود ماضيها لا تكاد تبرحه أبداً.

نخلص مما سبق أن القصة القرآنية تولي اهتماماً كبيراً للحدث حتى عُدّ الحدث مناط القصة كلها، بل هو مقصودها أولاً وأخيراً، ولهذا السبب تجرد الحدث من عناصرها ليقف مستقلاً بنفسه، له شخصيته المميزة، وكيانه الفريد ، ليمتلك من وراء كل هذه القابلية للتكرار في كل زمان ومكان . نعم إن أحداث القصة القرآنية ووقائعها مبهمة المكان والزمان ومبهمة الشخصيات، وكل ذلك لأجل المنهج الرباني من جهة، ولكي تصبح جزءاً أصيلاً من العقيدة، وكلاً منهما لازم للآخر، فلا القصص القرآنية منفصلة عن المنهج، ولا المنهج منفصل عن القصة[1].



(١) انظر: القصة القرآنية د/ الشفيع الماحي أحمد ـ مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي العدد٣٦٣ ذو القعدة١٤١٦هـ/ ابريل ١٩٩٦م ص٥٠ ـ ٥١.

٦ ـ أغراض القصة في القرآن الكريم

سيقت القصة في القرآن الكريم لتحقيق أغراض دينية بحتة، فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وقد تناولت من هذه الأغراض عدداً وفيراً من الصعب استقصاءه، لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية. فإذا نحن استعرضنا هنا أغراض القصة القرآنية، فإنما نثبت أهم الأغراض وأوضحها، ونترك استقصائها وتتبعها .

أولاً: إثبات الوحي والرسالة.

لقد كان من أغراض القصة في القرآن(إثبات الوحي والرسالة)، فقد بيّن القرآن الكريم أن هذا القصص إنما هو بوحي من الله فمحمد ﷺ أميّ لا يكتب ولا يقرأ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾. [العنكبوت].

ثانياً: الإشارة إلى وحدة الديانات السماوية.

ومن أغراض القصة بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام ، إلى عهد محمد ﷺ وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد الأحد هو رب الجميع.... فكثيراً ما وردت قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة الواضحة.

نضرب لذلك مثلاً ما جاء في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.[الأنبياء].

ثالثاً: بيان الغرض من دعوة الرسل:

وكان من أغراض القصة كذلك، بيان أن الدين كله واحد الهدف والأساس، وتبعاً لهذا كان الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ يركزون على هدف واحد، وغاية واحدة، ألا وهي الاعتقاد (بوحدانية الله) وكانت ترد قصص كثيرة من الأنبياء مجتمعة ، وكذلك مكررة فيها العقيدة الأساسية (الإيمان بالله الواحد الأحد) الذي هو الغرض الأساسي من دعوة الرسل على نحو ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾. [الأعراف٥٩].

رابعاً: موقف الأمم من الأنبياء الكرام.

ومن الأغراض أيضاً في قصص القرآن الإشارة إلى موقف الأمم من الأنبياء الكرام فقد كان موقفاً متشابهاً... فما من نبي دعا قومه إلى الله إلا وقف في وجهه المجرمون موقف العناد والاستكبار، وموقف التكذيب والجحود كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾. [الفرقان]. فقد اتحدت في قصص الأنبياء صيغة الدعوة كما اتحدت من أقوامهم صيغة التكذيب....استمع إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.[هود].

خامساً: الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان.

ومن الأغراض في القصة القرآنية بيان الترابط الوثيق بين الأديان السماوية فليس بينهما تعارض أو تصادم، بل إن جميعها تستقي من نبع واحد، وكل نبي إنما يأتي برسالة متممة ومكملة لرسالة النبي الذي سبقه، ويدعو إلى الإيمان برسالته، والاعتقاد بصدق ما جاء من عند الله تعالى، لأن مصدر التشريع واحد، وهو رب

العالمين، فليس هناك ما يدعو إلى النزاع والخصام كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾. [الشُّورى].

سادساً: النصر للرسل والهلاك للمكذبين.

ومن أغراض القصة أيضاً بيان أن النصر في النهاية للرسل الكرام، وأن الهلاك والدمار للأمم المكذبين، وفي ذلك تقوية للأنبياء ، وتطييب لخاطرهم، حيث يقر الله أعينهم في الدنيا بإهلاك أقوامهم المكذبين .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت].

سابعاً: تصديق التبشير والتحذير.

من أغراض القصة القرآنية تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع في هذا التصديق ، كالذي جاء في سورة الحجر، قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ .[الحجر]. الخ... وهكذا يصدق الإنباء، ويبدو صدقه في هذا القصص الواقع بهذا الترتيب.

ثامناً: بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه:

كقصص سليمان وداود وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويحي ويونس وموسى فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضا.

تاسعاً: تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان.

وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير!!

ولما كان هذا موضعاً خالداً فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى.

عاشراً: بيان قدرة الله تعالى على الخوارق:

كقصة آدم عليه السلام، وقصة ولادة عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك للدلالة على قدرة الله الباهرة التي تقول للشيء كن فيكون...

فآدم عليه السلام ولد بدون أب وبدون أم ، وعيسى عليه السلام ولد من أم دون أب، وحواء ولدت من ضلع آدم، وكل ذلك دليل القدرة الباهرة على الخوارق العجيبة.

قال تعالى:﴿ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾ [آل عمران].

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام والطير الذي ذبحه ثم عادت له الحياة، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقد أماته الله مائة عام ثم أحياه. وقصة زكريا عليه السلام وزوجه...

كل هذه القصص وأمثالها مما يدل على قدرة الله العجيبة في خرق العادات، وإظهار الخوارق العجيبة في هذا الكون البديع.

حادي عشر: **عاقبة الخير والصلاح، وعاقبة الشر والفساد.**

فمن أغراض القصة في القرآن الكريم بيان عاقبة الخير ، وعاقبة الشر مثال ذلك: قصة ابني آدم عليه السلام (قابيل وهابيل) المذكورة في سورة المائدة في قوله تعالى:﴿ وَٱتْلُ

عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .[المائدة].

وكيف اعتدى «قابيل» على أخيه فأقدم على قتله، إلى آخر ما في القصة من مغزى دقيق حول العدل الإلهي المطلق.

أما عاقبة النعمة والغرور: فقد تجلى ذلك في مجموعة من القصص القرآني: مثل صاحب الجنتين، وقصة سد مأرب، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أهل القرية الآمنة التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، فهذه القصص وغيرها وردت لبيان عاقبة الخير والشر ، إلى آخر هذه الأغراض الوعظية التي سيقت فيها القصص بأروع أسلوب لتؤدي غايتها وتفي بمغزاها[1].

ثاني عشر: بيان الفارق بين الحكمة الإلهية والحكمة الإنسانية:

فمن أغراض القصص القرآني بيان الفارق بين الحكمة الإلهية البعيدة الآجلة والحكمة الإنسانية القريبة العاجلة.

مثال ذلك: قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وما فيها من أحداث قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾. [الكهف].



(١) انظر: التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ص١١٨ دار الشروق ـ القاهرة.

الفصل الثاني

الخصائص الفنية للأسلوب القصصي في القرآن الكريم

أولاً: مميزات أسلوب القصة في القرآن الكريم

والذي يمكن التعرف على مميزاته من خلال الدراسات التي تناولت الجانب الفني والأدبي في أسلوب القرآن الكريم. ومنها الدراسات التي تناولت هذا الجانب في إعجاز القرآن وهي أكثر الدراسات القديمة في الإعجاز. ويأتي في مقدمة هذه الميزات والخصائص:

١ ـ أسلوب مزج الموضوعات والمفاهيم المتعددة بعضها مع بعضها الآخر في مقطع واحد وذلك من أجل الخروج بصورة متكاملة لهذه المضامين مرة واحدة لما ذكرنا من أن القرآن ليس كتاباً علمياً، بل هو كتاب هداية ورحمة فهو يمزج الحقائق الكونية بالمعارف العقائدية وبالأحكام الشرعية السلوكية وبالموعظة والإرشاد والتبشير والتحذير، والعواطف والمشاعر والأحاسيس بالعقل والإدراك من أجل أن يتزكي الإنسان ويلتزم طريق الحق. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾. [الملك]

٢ ـ تكرار الموضوعات والمفاهيم بصيغ متعددة وفي سياقات مختلفة لتأكيدها أو لتحقيق مزيد من الأغراض والأهداف المتعددة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر[1] كما لاحظنا ذلك في حديثنا عن أغراض القصة وفي تفسير ظاهرة

(١) انظر أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٤-٥٥).

تكرار القصة.

٣ ـ اختلاف أسلوب القرآن في عرض الموضوعات بحسب الإيجاز والقصر والإطناب والتفصيل وكذلك بحسب الإيقاع الصوتي والتركيب اللفظي للآيات الكريمة. وذلك مراعاة للمراحل التي مرت بها الرسالة الإسلاميّة أو في محاولة للتأثير النفسي والروحي في المخاطبين، مما جعل أسلوب القرآن الكريم أسلوباً يختلف فيه عن كل من النثر والشعر العربي.

٤ ـ إن أسلوب القرآن الكريم تأثر بالهدف العام لنزول القرآن الكريم، فإن هذا الهدف كما كان له تأثير على المضمون القرآني كما أشرنا إليه سابقاً كان له تأثير على أسلوب القرآن الكريم أيضاً. وجاء الأسلوب أداة موظفة لتحقيق هذا الهدف العام.

٥ـ نلاحظ دائماً بأن ذكر القصة في القرآن الكريم يأتي دائماً مرتبطاً بسياقها والآيات السابقة أو اللاحقة لها أو كليهما، وهذا يعني أن القصة ترتبط بشكل مباشر وتفصيلي بالقرآن الكريم أسلوباً ومضموناً. فالارتباط هنا والتفاعل ليس على المستوى العام للهدف فحسب، بل هو ارتباط على مستوى التفاصيل في تطبيقات هذا الهدف أيضاً.



ثانياً: الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم

أ. تنوع طريقة العرض.

يوجد في القرآن أربع طرق لعرض القصة:

(أ) ذكر ملخص القصة ثم الدخول في التفاصيل ثم سرد القصة من أولها إلى آخرها كما جاء في قصة أهل الكهف.

(ب) ذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم الدخول والابتداء بالقصة مثل قصة يوسف عليه السلام بدأت بالرؤية ثم تبدأ القصة بعد ذلك حتى النهاية.

(ج) ذكر القصة مباشرة وبدون مقدمة أو تلخيص ومثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام وقصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس.

(د) تحويل القصة إلى تمثيلية تبدأ بالعرض ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها ومثال ذلك قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما للكعبة قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

ب. تنوع طرق المفاجأة:

(أ) فالقصة تكتم سر المفاجأة عن البطل والقارئ حتى تكشف لهم معاً في آن واحد مثال ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف.

(ب) ومرة تكشف السر للقارئ وتترك أبطال القصة في عماية وغالبا ما يكون هذا في موضع السخرية يقول تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ

ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القلم].

(ج) ومرة تكشف السر للقارئ فهو خافٍ على البطل في موضع وخافٍ على القارئ والبطل في موضع آخر من القصة الواحدة مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي أحضر في غمضة عين حيث عرفنا نحن أنه بين يدي سليمان على حين ظلت بلقيس تجهل ما تعلم ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معا.

(د) وقد لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد مثل قصة المخاض لمريم العذراء.

وهكذا نرى أنّ من يقرأ القرآن لابد وأن يتذوق حلاوته وأن يستمتع بأسلوبه المعجز الذي أذهل العرب فلو اجتمع كُتّاب القصة من المشرق إلى المغرب لما استطاعوا أن يأتوا بما جاء به القرآن الكريم من رسم للشخصيات وأحداث القصة لذلك بقي القرآن منذ نزوله وحتى الآن مصدر لإلهام الكثير من الكتاب والشعراء[1].



(١) د. نور الدين عتر: القرآن الكريم و الدراسات الأدبية.

الباب الثاني



نماذج من القصص الرمزي والواقعي في القرآن الكريم

الفصل الأول

القصة الرمزية في القرآن الكريم

أولاً: نظرة عامة عن الرمز في القرآن

إن المنهج القرآني المعتاد في القصص هو عدم تحديد الأشخاص وذلك للتأكيد على جانب العبرة والعظة بأن تتحول الحادثة التاريخية المحددة بالأسماء والزمان والمكان إلى قضية عامة قابلة للاستشهاد بها والاتعاظ بها في كل زمان ومكان، وبذلك يتحول الشخص من « اسم » إلى « رمز »، بل أنّ القرآن الكريم حين يذكر اسم شخص فإنه يحوله أيضا إلى رمز لفكرة معينة، ولذلك تحول « أبو لهب » و« آزر » إلى رمز للسقوط والتردي حتى لو كان ذلك الخاسر من أقرب أقارب النبي، وبذلك أسقط القرآن دعاوى النسب الشريف التي تعطي حصانة لأصحابها فخاتم النبيين محمد عليه السلام كان عمه « أبو لهب » كافرا، وخليل الله إبراهيم كان أبوه « آزر » كافرا .. ولم يغنيا عنهما من الله شيئا لذلك تحول اسم « أبو لهب »و « آزر » إلى رمزين لقيمة أساسية من قيم الإسلام العظيم.

ونعود إلى فرعون موسى .. إن « فرعون» في حد ذاته لقب سياسي للملك المصري، وليس اسما شخصيا، وفرعون موسى ليس بدعا من أسلافه، في الطغيان، ولذلك اكتفي به القرآن رمزا لكل حاكم ظالم مدع للالوهية يسير إلى نهاية الشوط في حرب الله تعالى فيلقى جزاءه..

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: « في قصة ذي القرنين... ونحن لن ندخل هنا في مناقشة حول من هو وتحديد شخصيته إلى آخر هذا... فليس المقصود في القرآن

الكريم من تحديد أعلام القصص ... أن يحدد شخص بذاته لأن التشخيص قد يفسد القضية .. فإذا حاولنا أن نحدد من هم أهل الكهف مثلاً ... ومن هو فرعون موسى .. ومن هو اسم العبد الصالح ومن هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة في سورة يس ... ومن هو الرجل المؤمن الذي ناصر موسى وأبلغه أنّ القوم يأتمرون لقتله... إلى آخر الشخصيات التي ذكرت في القرآن... فإننا نتوه عن الحقيقة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن نعرفها... ذلك أنّ هذه الشخصيات تتكرر في كل زمان ومكان... وهي قصص مضروبة لكل عصر... والعبرة هنا تأتي بالشيوع... أي تأتي على من تنطبق عليهم القصة... في أي زمان كانوا وفي أي مكان وُجدوا... فعندما يضرب الله مثلاً بالذين كفروا... امرأة نوح... وامرأة لوط... فهو لا يعني بذلك هاتين المرأتين بالذات فقط... وإنما يعني كل إمرأة يكون زوجها صالحاً وتخونه... وعندما يضرب المثل بامرأة فرعون... فإنما يعني كل إمرأة مؤمنة وزوجها كافر... وهذا يتكرر في كل عصر... والحادثة الوحيدة التي لن تتكرر هي قصة مريم ...وعيسى ابن مريم عليه السلام .. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ ، أى نسبها لأبيها لأنها لا تتكرر...وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ونسبه لأمه لأنه لا يتكرر..والله سبحانه وتعالى حين يضرب الأمثال في القرآن يريد أن يعطينا الحكمة والموعظة الحسنة».



ثانياً :فوائد الرمز في القصص القرآني

١ ـ عدم تحديد الأشخاص في القرآن الكريم للتأكيد على جانب العبرة والعظة.

٢ ـ إن الأشخاص التي لم يتم تحديد أسمائها، لا تنتهي بانتهاء الحدث ولكن تتكرر منها نسخ في المجتمعات والأمم والشعوب في كل زمان ومكان.

٣ ـ لا ينتهي النص القرآني عند عرض الأحداث، وإنما ينتهي إلى وضع قيمة بنائية تعليمية وإرشادية يستفيد منها الأفراد والمجتمعات في كل وقت[1].

٤ ـ ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه في الحث والزجر وتقريب المراد للعقل وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر[2].

....

والآن نتناول نماذج مختلفة من القصص الرمزية، ولعل قصص سورة الكهف تعكس هذا النوع من القصص الرمزي من خلال :فتية الكهف، صاحب الجنتين، موسى عليه السلام مع العبد الصالح،وأخيرا ذي القرنين. وهذه القصص تتناول أربعة أنماط من الفتن التي تعرض لبني آدم وهي:

فتنة الدين (وتتمثل في قصة فتية الكهف)،فتنة المال(وتتمثل في قصة صاحب الجنتين)،فتنة العلم (وتتمثل في قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام)،فتنة السلطة (وتتمثل في قصة ذي القرنين).

(١) انظر: الأدلة الخطابية،د/ عبد اللطيف العشماوي ص ١٣١. كلية أصول الدين ـ المنصورة ـ مصر.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي ج٤ ص ٣٨ ـ ٣٩.

١ ـ فتنة الدين:

قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعا وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]. فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

٢ ـ فتنة المال:

قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين. ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف]. والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

٣ ـ فتنة العلم:

قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وكان موسى عليه السلام ظنّ أنه أعلم أهل الأرض فأوحى له الله تعالى بأن هناك من هو أعلم منه فذهب للقائه والتعلم منه فلم يصبر على ما فعله العبد الصالح لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله وإنما أخذ بظاهرها فقط. وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ

أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف]. والعصمة من فتنة العلم هي التواضع وعدم الغرور بالعلم

٤ ـ فتنة السلطة:

قصة ذو القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها يعين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا. وتأتي آية العصمة ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف]. فالعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله في الأعمال وتذكر الآخرة.



ثالثاً: أمثلة على أسلوب القصص الرمزية في القرآن الكريم

(١) قصة صاحب الجنتين:

الفتنة التي تمثل فتنة المال والزينة الزائفة، وهي قصة صاحب الجنتين،قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)﴾ [الكهف]

قصة صاحب الجنتين نموذجاً ومثالاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، ترسم نموذجين للنفس البشرية، النفس المعتزة بزينة الدنيا والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذجان لا يندثران لطائفتين من البشر.

تبدأ القصة بلقطات بديعة لجنتين من أعناب يحيط بهما النخل يحرسهما، فنرى الفاكهة الناضجة تملأ المكان يحيط بها النخل في تناسق بديع لطبيعة ساحرة، يجري بينهما نهراً بمياهه العذبة المتدفقة يرويهما وتتلألأ مياهه تحت أشعة الشمس، وفي ذلك ما يسمى في الدراما (ببراعة الاستهلال) هنا هدف القصة فتنة المال، لذلك تبدأ القصة بلقطات ترى فيها زينة الحياة الدنيا متمثلة في نعمة الخالق على عباده، لقطات تجعلك تمني النفس بمثلها وينشرح صدرك بتأملها ثم تدخل الشخصيات في الحدث قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)﴾.

وهنا البراعة والإتقان فيما يسمى في الدراما (**نقطة الهجوم على الحدث**) فالحوار مختصر مفيد تفهم منه رسم الشخصيات بلا مط ولا تعقيد أو تسطيح، فلا يقول

صاحب الجنتين: تعلم أنني صاحب هذه الجنتين المليئتين بالفاكهة وأنني غني ومثل هذا التسطيح الذي يقع فيه البشر ولكنه حوار معبر عن الهدف وعن الشخصية بأقصر الطرق وأتقنها، صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري الذي تذهله الثروة فينسى المنعم الرزاق المعطي المعز، يزهو بنفسه ويحيا في خيلاء ويحسب أن هذه النعمة خالدة لا تفنى، ينسى أن يشكر ربه على نعمته عليه، بل يظن أن جنته لن تبيد أبداً، ويتمادى في زهوه وانتفاشه فينكر الساعة ويؤكد أنها لئن قامت فسيجد خيراً من جنتيه بانتظاره، إنه غرور أصحاب الجاه والثراء ذوي النفوس الضعيفة ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف]

أما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا جنة، فإنه يعتز بما هو خير وأبقى، تطمئن نفسه بعقيدته فيعتز بها، يواجه صاحبه بشجاعة ويؤنبه، يذكره بمنشئه من ماء وطين،ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق الخالق المنعم، وينذره عاقبة الكبر والخيلاء، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار، ويحدث هنا قفزة في الزمن (**ضغط زمن**) فينقض علينا مشهد نذهل لرؤيته ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ فقد أحيط بالثمر ودمرت الجنتين، فترى لقطات للجنتين خاويتين على عروشهما مهشمتين محطمتين وصاحبهما يجلس في وسطهما متحسراً يقلب كفيه أسفاً على ماله ندماً على إشراكه بالله وجحوده بنعمته وهنا البراعة القصصية في إخفاء سبب تدمير الجنتين، فقد يكون حريق وقد يكون إعصار أو حشرات أو قيظ فلا يهم.

وذلك الإخفاء يدعم الحكمة من سرد القصة، فلتتوقع أي شيء من حيث لا تحتسب إذا جحدت بنعمة ربك، فكان من الإتقان إخفاء سبب التدمير، وتتضح قوة البناء في لقطات النهاية، فها هي ذا الجنتين اللتين بدأ بهما ينهي القصة بهما ولكن الحال غير الحال ... وهنا يضرب القرآن مثلاً للحياة الدنيا، فهي كالجنة المضروبة ، قصيرة لا بقاء لها، فانية زائلة ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ وتعقيباً على فتنة المال يقرر القرآن أن المال والبنون هم زينة الحياة الدنيا ولكنهما ليسا بقيمة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من العبادات والأعمال الصالحة ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف].

الخلاصة: الإعجاز الفني في هذه القصة يتفق مع عناصر الإبداع الفني في القصص البشرية،بصورة لاتخطيء أبداً في قصص القرآن، وكثيراً ماتخطيء عند البشر، حتى ولو علموها، وحرسوا على إتقانها. ونحاول أن نجملها في الجدول التالي:

العنصر	مدى تحقيقه في القصة
براعة الاستهلال	تبدأ القصة بلقطات ترى فيها زينة الحياة الدنيا متمثلة في نعمة الخالق على عباده، لقطات تجعلك تمني النفس بمثلها وينشرح صدرك بتأملها ثم تدخل الشخصيات في قلب الحدث.
نقطة الهجوم على	الحوار مختصر مفيد تفهم منه رسم الشخصيات بلا مط ولا تعقيد أو تسطيح ، ومثل هذا التسطيح

العنصر	مدى تحقيقه في القصة
الحدث	يقع فيه البشر ولكنه حوار معبر عن الهدف وعن الشخصية بأقصر الطرق وأتقنها.
ضغط الزمن	البراعة القصصية في إخفاء الأسباب (سبب تدمير الجنتين، فقد يكون حريق وقد يكون إعصار أو حشرات أو قيظ فلا يهم). وذلك الإخفاء يدعم الحكمة من سرد القصة، فلتتوقع أي شيء من حيث لا تحتسب إذا جحدت بنعمة ربك، فكان من الإتقان إخفاء سبب التدمير.

ونتقل الآن إلى فتنة العلم ومع قصة العبد الصالح.

(٢) قصة العبد الصالح:

قصة العبد الصالح نموذجاً متفرداً في التشويق والإثارة والغموض في البناء والسرد عندما يفرض نفسه للتعبير عن المعنى والهدف من القصة...الفتنة الثالثة في السورة هي فتنة العلم، العلم البشري المحدود القاصر وعلم الله المطلق وحكمته في قضاءه وقدره.إنها قصة موسى مع العبد الصالح ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ تبدأ القصة بنقطة الهجوم على الحدث مباشرة، لقد كان لموسى هدف من رحلته مصمم عليه حتى وإن مضى في طريقه حقبة من السنين، ولا نعرف في أول الأمر ما هو هذا الهدف، ثم يطلب موسى من فتاه طعام الغداء فيخبره الفتى بفقدانه ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا

نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ فيزداد الغموض درجة من تعقيب موسى على فقدان السمكة بهذه الطريقة العجيبة أن هذا ما كان يبغي، فيزداد غموض المهمة مع هذه العلامة الغامضة التي نجهلها ولا شك أن هذه البداية المشوقة (براعة الاستهلال) تثير فضولك على أن تتابع الحدث ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ ها هو هدف موسى إذن،أن يطلب العلم من العبد الصالح، ولكن علم الرجل ليس العلم البشري الواضح المعالم، ليس العلم العقلي المنطقي الذي له مقدمات وأسباب، إنما هو العلم اللدنّي، أطلعه الله على بعض منه بالقدر الذي أراد ولحكمة أرادها، فالرجل يمثل القدر، ومن ثم لا طاقة لموسى بالصبر على ما سيراه.

فهذه الأعمال ظاهرياً ستصطدم بالمنطق العقلي، وعلم موسى هو علم الأحكام الظاهرة يعلمها للناس، ولكن علم هذا العبد الصالح هو عالم الباطن، بيد أن موسى يعتزم أن يصبر إن شاء الله، فيشترط عليه العبد الصالح ألا يسأله على شيء يراه منه حتى يحدثه عنه﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ ولكن مع أول تصرف غير منطقي بالنسبة لعقل موسى البشري لا يستطيع الصبر فيعترض مستنكراً ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ ﴾.

فالتجربة العملية أكثر وقعاً وأقوى من مجرد اتفاق بكلمات مجردة، فها هو موسى لا يستطيع الصبر ويستنكر خرقه للسفينة، فيذكّره أنه قال له سالفاً أنه لن يستطيع معه صبراً، فيعتذر موسى﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ كذلك في المرة الثانية لا يستطيع موسى الصبر ويعترض على قتله الغلام، فيذكّره العبد الصالح للمرة الثانية أنه قال له أنه لن يستطيع معه صبراً، فيعتذر موسى للمرة الثانية مؤكداً أنه تعلم الدرس وسيصبر.

وهكذا تأخذنا القصة في أجواء ومفاجئات غامضة متوالية، وتضعنا في نفس موضع موسى فتزداد حيرتنا كلما تقدم الحدث إلى الأمام، فمواقف موسى بالنسبة إلينا منطقية صحيحة، وما يزيد الأحداث غموض أننا لا نعرف مَنْ هو العبد الصالح فلا ينبئنا القرآن باسمه استكمالاً للجو الغامض الذي يحيط بنا.........
قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ ومع المرة الثالثة ينهي العبد الصالح الاتفاق ويكشف لموسى أسرار تصرفاته..﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾ فالسفينة كانت لمساكين يعملون في البحر، وكان هناك ملك ظالم يغتصب كل سفينة قوية لا عيب فيها فأنقذهم تصرف العبد الصالح وأنجاهم من بطش الملك الغاشم، وهذه الحادثة تعبر عن الرزق، والغلام كان سيصبح فاسداً كافراً وكان أبواه مؤمنين فكان سيرهقهما من طغيانه، فأراد الله تعالى أن يرزقهما بدلاً منه ولد صالح، وهذه الحادثة تعبر عن الذرية، والجدار كان لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحاً ترك لهما كنز لا

يقويان عليه الآن فحفظه الجدار لهما، وهذه الحادثة تعبر عن المستقبل.....

الآن تبدو تصرفات العبد الصالح لموسى ولنا منطقية تمام المنطق، ولكن أنّى لنا معرفة ذلك فالعلم الإلهي له حكمته التي تخفى عن عقولنا ولا قبل لنا للوصول إليها.

وفي النهاية يعقب العبد الصالح بعد إخبار موسى أن ذلك كله بأمر الله تعالى وليس من أمره﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ثم يختفي العبد الصالح الذي لا نعرف من هو بنفس الغموض الذي ظهر به «وما قيمة اسمه؟ إنه يمثل الحكمة الكونية العليا التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها».

وهنا يتجلى إعجاز القصة في بناءها وسردها، فالجو الغامض المحيط بالأحداث كان لابد منه لتأكيد المعنى، فتتركنا القصة نتيه في الغموض حتى لحظة انكشاف السر، وإخفاء الحقيقة عنّا يجعلنا نمر بالتجربة في تشويق وإثارة لنتعلم الدرس مثل موسى تماماً «وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدا، لكي يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جواباً، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار ثم تبقى مجهولة أبداً».

وقبل أن نلتقي بالقصة الرابعة أود أن ألقي الضوء على الملامح الإعجازية في العلوم الكونية في هذه القصة[1].

ففي قصة العبد الصالح نجد هنا ثلاثة عناصر للقصة:

---

(١) سمير الحفناوي: الهندسة الإيمانية في القرآن والسنة.... تحت الطبع.

١ ـ خرق السفينة.

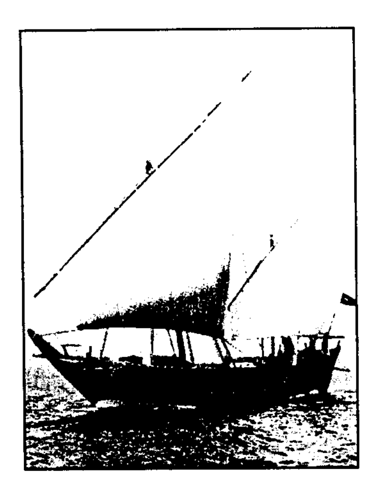
٢ ـ قتل الغلام.

٣ ـ بناء الجدار.

وسوف نعالج كل عنصر على حدة لما به من ملامح إعجازية

أولاً: خرق السفينة:

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾[الكهف ٧١].



خرق السفينة فيه أربعة متغيرات:

(١) مساحة الفجوة.

(٢) قوة دفع الماء.

(٣) المسافة بين المكان التي يبدأ به بخرق السفينة، والشاطيء.

(٤) الزمن اللازم للوصول قبل أن تغرق السفينة.

١ ـ مساحة الفجوة:

مساحة الفجوة(الخرق) يعتمد على طول وعرض الفتحة في السفينة، فلابد وأن تتناسب مع الزمن اللازم للوصول إلى الشاطيء قبل أن تمتلىء السفينة بالماء وتغرق.

٢ ـ قوة دفع الماء:

وهذا عامل آخر مؤثر في إحتمالية نجاة السفينة من الغرق، فإذا كانت قوة دفع الماء كبيرة، فإن السفينة يمكن أن تمتليء بالماء قبل وصولها إلى الشاطيء.

العوامل التي يتوقف عليها قوة دفع السائل لجسم مغمور فيه :

١- كثافة السائل .

٢- حجم الجسم المغمور .

٣- عجلة السقوط الحر في هذا المكان .

ومن المعروف أنّ: السباحة في ماء البحر (المالح) أسهل منها في ماء النهر (العذب). لأن كثافة ماء البحر أكبر من كثافة ماء النهر وبالتالي تكون قوة دفع ماء البحر كبيرة على السابح فيسهل له السباحة، فهل كانت المياه عذبة أم مالحة؟!!.

٣ ـ المسافة بين المكان التي يبدأ به بخرق السفينة، والشاطيء: حجم الماء في السفينة يزداد بازدياد المسافة والزمن.

٤ ـ الزمن اللازم للوصول قبل أن تغرق السفينة: حجم الماء في السفينة يزداد بازدياد الزمن.

كيف للإنسان أن يوّفق بين أربعة متغيرات كهذه في آن واحد،إلا إذا كان ملما بعلوم كونية في غاية التقنية ، وعلم موسى عليه السلام ، لم يتوصل إلى هذه القوانين الرياضية والفيزيائية إذن إننا هنا أمام :

(١) ميكانيكا الموائع.

(٢) ميكانيكا الحركة.

(٣) الهندسة الإقليدية.

(٤) الفيزياء النظرية.

وهل تعلمها العبد الصالح ؟!!! كلا إنه علم لدُنّي من عند الله تعالى.

ثانياً: قتل الغلام

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف].

وقتل الغلام فيه أيضاً عدة متغيرات منها:

الوقت(الزمن) المناسب لقتل الغلام، أي ماهو العمر المناسب لقتل الغلام قبل أن يكون فتنة لوالديه في الدين؟ وهل يقبل والديه قتل الغلام؟ وهل هذا مباح في أي شريعة؟ وهل الغلام المقصود به طفل أم شاب لم يبلغ الحلم؟....

إنّ تعليل خرق السفينة، قد يكون مقبولاً لموسى عليه السلام، حيث أنّ الملك الذي يأخذ السفن السليمة عنوة وغصباً ما زال موجود وهو أمر حسي، أما أن نبني نتيجة حدث على أمور غيبية مستقبلاً قد لا يكون مقبولاً عند موسى عليه السلام؟ فكيف قبل موسى عليه السلام مبررات العبد الصالح في قتل الغلام؟!!! ....إذا لابد من وجود قوى غيبية مسيطرة على عقل موسى عليه السلام ومؤيدة لفؤاده ومطمئنة له، إذا لابد وأن الأمر كله من عند الله... إذا هناك علم لدني... ليس كعلم البشر، فعلم البشر يمكن أن يصطدم بالواقع وعرضة للخطأ والصواب ، أما علم الله تعالى لايصطدم بالواقع وكله صواب.

ثالثاً: بناء الجدار:

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف].

إن قصة بناء الجدار فيها أيضاً خمسة متغيرات:

١ ـ طول الجدار

٢ ـ عرض الجدار (سمك البناء)

٣ ـ ارتفاع الجدار

٤ ـ الزمن(عمر الجدار من تمام بناءه مباشرة إلى لحظة وقوعه)

٥ ـ عمر الغلامين(أثناء وقوع الجدار).

نحن هنا أمام علوم كونية ذات صلة ببناء الجدار:

١ ـ هندسة مدنية.

٢ ـ رياضيات عامة.

٣ ـ علم نفس نمو.

والغريب هنا ليس في بناء الجدار بأي طول أو عرض أو إرتفاع فقد يكون مناسباً للبناء الموجود في هذه القرية حتى لا يلفت نظر أهلها، ولكن الغريب في مدة بقاء الجدار، حتى يسقط!!!... إن القرآن الكريم قد حدد ذلك الزمن في الآية الكريمة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾. ... ويبقى هناك عدة تساءلات...

هل يسقط الجدار عندما يبلغ الغلام الأول سن الرشد؟

هل يسقط الجدار عندما يبلغ الغلام الآخر سن الرشد؟

هل الغلامين مختلفين في العمر؟ أي هل إن كانا مختلفان في العمر لا يسقط الجدار قبل أن يبلغ الصغير سن الرشد أيضاً؟

هل لو سقط الجدار وكان عمر الأول أكبر من عمر أخيه يحتفظ بالكنز حتى يبلغ أخيه نفس عمر الأول حينما سقط الجدار؟أم كانا توأمان ووقع الجدار في لحظة بلوغهما سن الرشد معا؟!!!!!!!

إذا كانت هذه متغيرات في العنصر الخامس فقط (عمر الغلامين)...إذاً ماهي القنبلة الموقوتة التي تحت الجدار، والتي تُسقط الجدار بعد أن (يبلغا أشدهما)؟!!!!

إنها ليست قنبلة بالمعنى المعروف... إنه توقيت إلهي....إنها إرادة الخالق...إنه علم لدني... لا يقاس بمقاييس ومعايير بشرية ولا يخضع لقوانين رياضية ولا حسابات هندسية.... ولا آراء فلسفية.

ويمكن أن نلخص متغيرات عناصر القصة في الجدول التالي:

متغيرات خرق السفينة	متغيرات قتل الغلام	متغيرات بناء الجدار
مساحة الفجوة.	العمر المناسب لقتل الغلام	طول الجدار
قوة دفع الماء.	مدى شرعية ذلك القتل	عرض الجدار (سمك البناء)
المسافة بين الحدث والشاطيء.	قبول الوالدين لقتل الغلام	ارتفاع الجدار
زمن الوصول للشاطيء.	قبول أهل القرية للقتل	عمر الجدار من البناء للسقوط
نوع الماء(عذب ـ مالح).		عمر الغلامين(أثناء وقوع الجدار)

حقاً إنها أبعاد تُحار عندها العقول.... لا يمكن أن تضبط هذه المتغيرات كلها إلاّ من لدن الحكيم الخبير.

(٣) قصة ذو القرنين:

تجيء قصة الفتنة الرابعة والأخيرة وهي فتنة السلطة والقوة، متمثلة في قصة ذي القرنين. تبدأ القصة بشيء عن ذي القرنين﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ فقد مكّن الله له في الأرض فأعطاه ملكاً وسلطاناً، وآتاه من كل شيء سبباً، أسباب الحكم والقوة والبناء والسلطان وكل ما هو من شأنه أن يمكّنه في الأرض، وهكذا تبدأ القصة بأسلوب رابع مختلف، تبدأ بالتعريف بشخصية البطل، فتدخل في قلب الحدث مباشرة وتتابعه لتعرف ماذا سيفعل بهذه القوة والسلطان فلا تنشغل بمصيره في معاركه.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾. انطلق ذو القرنين غازياً يفتح البلاد في مشارق الأرض ومغاربها ويعلن دستوره الذي استمده من الإيمان بالله والتقوى: للظالمين عذابه في الدنيا ثم يردّون إلى ربهم فيعذبهم عذاباً لا قبل لهم به، وللصالحين منه الحسنى واليسر والرعاية.... ثم يستكمل رحلاته في الأرض ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ وهو هنا برغم فتحه للبلاد لا تراه يعلن دستوره وذلك من إتقان السرد القصصي، فقد أعلن دستوره سابقاً فلا داعي للمط والتطويل والإعادة.

ينطلق مرة ثالثة ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ يصل إلى منطقة يعرض قومها عليه خراج من المال مقابل بناء سد يحميهم من هجمات يأجوج ومأجوج فيرد عليهم المال فقد آتاه ربه خيراً مما يعرضون، ويتطوع ببناء السد، وبعد إتمامه لا تغره قوته وبأسه وعلمه، ولكنه ينسب كل شيء لفضل ربه، ويقرر معرفته وقناعته أن كل شيء هالك قبل يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ وهكذا تنتهي قصة ذو القرنين نموذج الحاكم الصالح الذي لا يتجبر ولا يتكبر ويعلم فضل ربه عليه.

ثم تختتم السورة بمشاهد يوم القيامة، ومصير الذين يقعون في فتن الحياة الدنيا، ثم تبشير المؤمنين بالجنّة، مع تأكيد الوحي القرآني وإثبات النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تناسب وتناسق مع بداية السورة وتأكيد للمعنى والهدف منها.

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

وهكذا نرى التلاؤم والانسجام والإعجاز في سرد القصص في السورة، فكل قصة يتم روايتها بما يناسبها من أسلوب بديع يتوافق مع الهدف منها ويساعد على

التأثير في المتلقي ببراعة في العرض وإتقان في استخدام الأحداث والتفاصيل الموحية، مما يجعلك داخل أجواء كل قصة تتواصل مع أحداثها وتستوعب درسها الديني بالإضافة إلى استمتاعك الوجداني، مع الحفاظ على هيكل ووحدة وبناء السورة.

فقصة أصحاب الكهف بدأت بملخص وضعك في هدوء وطمأنينة على أبطالها، وقصة صاحب الجنتين بدأت بلقطات لروعة الجنتين لتضعك في الجو العام الذي سيحدث فيه حوار الشخصيات، وقصة العبد الصالح بدأت بمهمة موسى المجهولة ووضعتك معه في ذاك الجو الغامض حتى تصيبك الحيرة ثم تعطيك الإجابات لتندهش وتخشع لقضاء الله وقدره، وقصة ذو القرنين بدأت بتعريف الشخصية لتمضي معه في رحلاته تتعلم من حكمته وعلمه وقوته وكيفية استخدامها في العدل والإصلاح .. فهل نجد لهذا الإتقان مثيلاً في دنيا القصص والفن والأدب؟ بالطبع لا.



الفصل الثاني
القصة الواقعية في القرآن الكريم

أولاً : نظرة شاملة

ومن أمثلة هذا النوع: كل قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات. وما أصابهم من هذا التكذيب ، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر (موسى وفرعون، عيسى وبني إسرائيل، صالح وثمود، هود وعاد ، لوط وقومه ، نوح وقومه ، يوسف وامرأة العزيز....)[1].

ثانياً : فوائد القصص الواقعية في القرآن الكريم

١ ـ إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي .

٢ـ تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان البطل وأهله.

٣ ـ تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٤ ـ إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

٥ ـ مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل.

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن: ٤ / ١٩٥١ ـ ١٩٥٢. دار الشروق ـ القاهرة.

٦ ـ والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليها السامع، وترسخ عبره في النفس[١].

٧ ـ بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص.

٨ ـ بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين.

٩ ـ بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين عما أصابه.

١٠ ـ ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد.

١١ ـ تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم[٢].

١٢ ـ إثبات رسالة النبي ﷺ فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل[٣].

ثالثاً: أمثلة على القصص الواقعية في القرآن الكريم

قصة يوسف عليه السلام:

إنّ قصة يوسف عليه السلام ـ كما جاءت في هذه السورة ـ تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة الواقعية، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضاً... ومع أنّ المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه، إلا أنّ قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (٣١٧-٣١٨)

(٢) إسلام محمود دربالة: مجلة المجتمع عدد١٧٧٦ بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٧.

(٣) انظر: أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣-٥٤).

إن القصة تعرض شخصية يوسف عليه السلام وهي - الشخصية الرئيسية في القصة - عرضاً كاملا في كل مجالات حياتها، بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشخصية في هذه الجوانب وفي تلك المجالات، وتعرض أنواع الابتلاءات التي تعرضت لها تلك الشخصية الرئيسية في القصة؛وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها.. ابتلاءات الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة، والفتنة بالسلطان، وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات.. ويخرج العبد الصالح من هذه الابتلاءات والفتن كلّها نقياً خالصاً متجرداً في وقفته الأخيرة، متجهاً إلى ربه بذلك الدعاء المنيب الخاشع.

وإلى جانب عرض الشخصية الرئيسية في القصة تعرض الشخصيات المحيطة بدرجات متفاوتة من التركيز. وفي مساحات متناسبة من رقعة العرض، وعلى أبعاد متفاوتة من مركز الرؤية، وفي أوضاع خاصة من الأضواء والظلال.. وتتعامل القصة مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في نماذج متنوعة: نموذج يعقوب الوالد المحب الملهوف والنبي المطمئن الموصول..

ونموذج أخوة يوسف وهواتف الغيرة والحسد والحقد والمؤامرة والمناورة، ومواجهة آثار الجريمة، والضعف والحيرة أمام هذه المواجهة، متميزاً فيهم أحدهم بشخصية موحدة السمات في كل مراحل القصة ومواقفها..

ونموذج امرأة العزيز بكل غرائزها ورغائبها واندفاعاتها الأنثوية، كما تصنعها وتوجهها البيئة المصرية الجاهلية في بلاط الملوك، إلى جانب طابعها الشخصي الخاص الواضح في تصرفها ووضوح انطباعات البيئة.. ونموذج النسوة من طبقة العِلية في مصر والأضواء التي تلقيها على البيئة، ومنطقها كما يتجلى في كلام النسوة

عن امرأة العزيز وفتاها، وفي إغرائهنّ كذلك ليوسف وتهديد امرأة العزيز له في مواجهتهنّ جميعاً، وما وراء أستار القصور ودسائسها ومناوراتها، كما يتجلى في سجن يوسف بصفة خاصة..

ونموذج (العزيز) وعليه ظلال طبقته وبيئته في مواجهة جرائم الشرف من خلال مجتمعه!.. ونموذج (الملك) في خطفة يتوارى بعدها كما توارى العزيز في منطقة الظلال بعيداً عن منطقة الأضواء في مجال العرض المتناسق..

وتبرز الملامح البشرية واضحة صادقة بواقعية كاملة في هذا الحشد من الشخصيات والبيئات، وهذا الحشد من المواقف والمشاهد، وهذا الحشد من الحركات والمشاعر..

ومع استيفاء القصة لكل ملامح (الواقعية) السليمة المتكاملة وخصائصها في كل شخصية وفي كل موقف وفي كل خالجه.. فإنها تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، ذلك الأداء الصادق، الرائع بصدقه العميق، وواقعيته السليمة.. المنهج الذي لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة، وفي الوقت ذاته لا ينشئ مستنقعاً من الوحل يسميه (الواقعية) كالمستنقع الذي أنشأته (الواقعية) الغربية الجاهلية!.

وقد ألمت القصة بألوان من الضعف البشري؛بما فيها لحظة الضعف الجنسي، ودون أن تزوّر -أي تزوير- في تصوير النفس البشرية بواقعيتها الكاملة في هذه المواقف، دون أن تغفل أي لمحة حقيقية من لمحات النفس أو الموقف، فإنّها لم تسف قط لتنشئ ذلك المستنقع المقزز للفطرة السليمة، ذلك الذي يسمّونه في جاهلية القرن العشرين (الواقعية)!. ويمكن أن نوجز شخصيات قصة يوسف عليه السلام في العناصر التالية:

شخصيات قصة يوسف عليه السلام.

ا - يوسف عليه السلام.

إن شخصية يوسف عليه السلام هي الشخصية المحورية بالقصة، وهي التي تدور حولها كل القصص المكونة لقصته عليه السلام .

ب - يعقوب عليه السلام.

هو ذلك الإنسان الحكيم الذي يمتلك بعد النظر ويستطيع أن يقرأ أو يستشعر ما سيحدث. قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ، فحالته النفسية التي تتسم بالخوف على يوسف من أن يكيد له أخوته دعته لتحذيره منهم، وأن يكتم رؤياه عنهم. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾.

ج - أخوة يوسف عليه السلام .

هم أخوة أخذت الغيرة منهم مأخذاً كبيراً،فغمر الحسد قلوبهم،فعملوا على تغييب أخيهم بالكيد له ورميه بالجب .

د - امرأة العزيز.

امرأة افتتنت،همُّها إشباع رغباتها،وفي النهاية تعود وتشهد لصالحه بعد سجنه .

هـ - الملك.

تتحكم به فكرة الصراع،والاهتمام بشؤون دولته؛ لذا ظهرت في رؤياه السنابل والبقرات التي رمز للاقتصاد.

و - السيارة «البدو».

هم مجموعة من البدو،حصلوا على غنيمة وأرادوا بيعها للحصول على المال.

ز – الفتيان.

هما صاحباه في السجن،وهما يمثلان الحياة اليومية، فأحدهما بائعٌ للخبز،والآخر عاصرٌ للخمر .

ح – النسوة .

هن نسوة بالمدينة يثرن الإشاعات على امرأة العزيز.

ط – الشاهد .

وهو الشاهد الذي أشار إلى القميص وموضع قدِّه، من القبل أم الدبر.

ونعود لشخصية يوسف عليه السلام ؛ فهي الشخصية المحورية ، فقد كان دوره تحرير الإنسان من الفكرة المسيطرة عليه،وهو يقف في وجه الحسد ودوافعه، ويواجه الدعوة لإشباع الشهوات خارج النظام الأخلاقي والاجتماعي،وهو يوجه الملك إلى نظامٍ اقتصادي بديع،وعمل على الدعوة له عز وجل،ودعا لتحرير الإنسان من نوازعه الذاتية الضيقة(١) .

مستويات قصة يوسف عليه السلام.

تعد قصة يوسف من القصص الطوال،وقد تشكلت بنيتها من خلال عدة أمور تشابكت فيما بينها مكونةً قصة من أروع القصص وأحسنها.قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف٣].

وتختلف هذه الأمور وتتباين فيما بينها فبعضها يخص البناء الزماني، وبعضها البناء المكاني، وبعضها بناء الشخصيات،تتكاثف هذه الأبنية ويظهر من خلالها

(١) انظر القرآن والشعر : دلال عباس . بيروت ، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ص ١٢٥-١٣٠

مستويات عدة،نتناول في هذا البسط ثلاثة مستويات هي كما بالجدول التالي:

المستوى	مراحله
مستوى الرؤيا	١ ـ رؤيا يوسف عليه السلام. ٢ ـ رؤيا فتى السجن الأول. ٣ ـ رؤيا فتى السجن الثاني. ٤ ـ رؤيا الملك.
مستوى الحيلة	١ ـ حيلة أخوة يوسف. ٢ ـ الحيلة الأولى لامرأة العزيز. ٣ ـ الحيلة الثانية لامرأة العزيز. ٤ ـ حيلة يوسف عليه السلام.
مستوى الرمز:	١ ـ قميص يوسف بعد مؤامرة إخوته. ٢ ـ قميص يوسف وامرأة العزيز. ٣ ـ قميص يوسف عند أبيه.

أولاً:مستوى الرؤيا .

وهو المستوى الأول الذي بدأت به القصة عموماً، قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف].

وينقسم مستوى الرؤيا إلى أربع مراحل :

المرحلة الأولى:رؤيا يوسف عليه السلام.

وهي التي قصها على أبيه حيث قال:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ

كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[يوسف]. وقد ظهر لأبيه منها أنه سوف ينزله الله منزلاً مباركا،وسوف يؤتيه الحكمة ويجعله نبياً،فخشي عليه من أخوته فأمره أن لا يحدث بها أخوته،خوف أن يكيدوا له ويؤذوه وتمثل هذه الرؤيا مساراً سارت على خطوطه أحداث القصة،على مختلف أماكنها وأزمانها؛لتلتقي في نهايتها بالتأويل،فقد جعلها الله حقاً.قال تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف].

المرحلة الثانية:رؤيا فتى السجن الأول.

حين دخل عليه السلام السجن صاحَبَ ذلك أن دخل معه فتيان، ورأى كلٌ منهما رؤيا.قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾ [يوسف٣٦]. ؛فعبرعليه السلام رؤيا الفتى بأنه سيسقي ربه خمراً،وربه أي«سيده» قال تعالى:﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ ، واستعملت هذه اللفظة لأنه معروف في اللغة أن يقال للسيد رب[1].

قال الأعشى:

أَذلَلْـتَ نَفسَـكَ بَعـدَ تَكرِمَـةٍ لَهـا ... أَو كُنـتَ ذا عَـوَزٍ وَمُنتَظِـرٍ غَـدا

أَم غـابَ رَبُّـكَ فَاِعتَرَتـكَ خَصاصَـةٌ ... فَلَعَـلَّ رَبُّـكَ أَن يَعـودَ مُؤَيَّـدا

رَبِّي كَـريمٌ لا يُكَـدِّرُ نِعمَـةً ... وَإِذا يُناشَـدُ بِالمَهـارِقِ أَنشَـدا

(١) الجامع لأحكام القرآن:القرطبي،ت أحمد عبد العليم البردوني،القاهرة،دار الشعب ،الطبعة الثانية، ٩/ ١٩٤

المرحلة الثالثة : رؤيا فتى السجن الثاني.

هو الفتى الآخر الذي دخل معه السجن وقص عليه رؤياه التي كان تعبيرها له وقع كبير على النفس البشرية،قال تعالى :

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ [يوسف].ولو نظرنا إلى القصة من جهة الدعوة لله نرى أنه عليه السلام لم يترك فرصةً إلا واستغلها في الدعوة لله عز وجل، فنراه وهو في سجنه يدعو لله، فعندما طُلبَ منه تعبير الرؤيا لم يعبرها لهم مباشرةً،ونستطيع أن نتلمس إصغاءهم إليه، واستفادته من هذا الإصغاء في الدعوة.قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ [يوسف].

المرحلة الرابعة:رؤيا الملك.

رأى الملك رؤيا سعى لتعبيرها قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [يوسف].

ومن خلال رؤيا يوسف عليه السلام،ورؤيا الفتيَيْن بالسجن،ورؤيا الملك تتجلى صور مرئية، من الكواكب الساجدة والشمس والقمر،إلى الخمر المعصورة ،إلى الخبز المحمول،إلى الطيور الآكلة من رأس الفتى،إلى البقرات التي تأكل مثيلاتها الهزيلات والسنابل الخضر واليابسات، فكل هذه الصور تكاد تراها بعينيك رأي العين؛ذلك راجع لقوة التعبير البلاغي الذي تمتاز به القصة،ويمتاز به النظم القرآني.

فشخصيات القصة«يوسف،ويعقوب،وأخوته،والملك،وفتيا السجن» هي صور مختلفة للجنس البشري ،تتباين وتختلف في مستويات متباينة ، سواء كانت هذه المستويات اجتماعية أو دينية أو ثقافية أو طبقية،تتفاعل فيما بينها متممةً البناء والشكل النهائي للقصة.

ويظهر المكان كعنصر متغير في ثنايا القصة والرؤى التي تتضمنها ؛ فالمكان في **الرؤيا الأولى** هو الكون الذي سجدت فيه الكواكب والشمس والقمر.

أما في **الرؤيا الثانية** فالمكان هو الوظيفة اليومية، **والرؤيا الثالثة** مكانها الحياة اليومية لخباز من خلال حمله للخبزعلى رأسه والسير به،أما **الرؤيا الرابعة** فمكانها هو الدولة؛ فالسنابل والبقر تمثلان رمز الثروة الوطنية؛أي مصدرالرزق والحياة.ويتطور الزمن في القصة من خلال نمو يوسف عليه السلام والمحيطين به يوسف طفلاً،ويوسف شاباً،ثم بلوغه الرشد قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف].

ويتفاعل الحدث من خلال تفجر عناصر الحياة التي تتضمنها الرؤيا من خلال دلالاتها المتعددة،فالرؤيا هي التي تحرك الشخصيات والمواقف؛فرؤيا يوسف عليه السلام أيقظت هواجس يعقوب وخوفه على يوسف عليه السلام؛فدفعته لتحذيره

من أخوته،هذا التحذير والخوف مبعثه شعوره بما يكنه له أخوته من كيد وحسد، وبالتالي تغذي حسد الأخوة فلجأوا إلى تغييب يوسف عليه السلام.

أما الساقي فتأويل يوسف رؤياه له أنجاه من السجن،ومن التهمة التي أُلصقت به ومهَّد تأويله لرؤيا الملك؛ لعودته إلى العائلة،وكشف المؤامرة الأولى،ومن ثم تحققت الرؤيا الأولى .

ثانياً:مستوى الحيلة.

ثمة أربع حيل تنتمي إلى مراحل القصة المتعاقبة المكونة لبنيتها،غير أنها تختلف من حيث دوافعها السلبية أو الإيجابية،وهي كالتالي :

أ - حيلة أخوة يوسف:

ويتمثل موضوعها في التغييب الكامل لوجود يوسف عليه السلام،سواء الوجود المادي أو الاجتماعي، والدافع لها كما مر بنا هو حب الأب ليوسف،قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف]؛وبدأت الحيلة باستدراج يوسف عليه السلام وهو«العزل» بعد أخذ الإذن من أبيه، قال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف]. وقد استعملوا « الكذب » على أبيهم، ثم نفذوا الحيلة برميه في البئر .

ب – حيلة امرأة العزيز الأولى:

والدافع إليها هو حبها له وشغفها به،قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف].

ج – حيلة امرأة العزيز الثانية:

وهي حيلتهاعلى نساء المدينة،ودافعها هو الاقتصاص من تلك النسوة اللاتي أطلقن الشائعات في المدينة حولها،قال تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف]. واحتالت عليهن بأن أعدت لهن متكأً،وأعطت كل واحدةٍ منهن سكيناً،وأمرته بالخروج؛ فلما رأينه قطعن أيديهن بلا شعور،وقلن«ماهذا بشراً»،وهذا ما تصبو امرأة العزيز إليه؛لتسويغ فعلتها،فقالت لهن:إن هذا هو الذي لمتنني فيه،فكشفت عن سبب موقفها من يوسف؛مغيبةً مكانته، ومظهرة مكانته«كرجل».

قال تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف].

د – حيلة يوسف عليه السلام :

وهي حيلة إيجابية،مفادها وموضوعها إعادة الحق إلى نصابه،وتحقيق العدالة والمستهدف من هذه الحيلة هم أخوة يوسف عليه السلام؛فقد استدرجهم وطلب منهم أن يأتوا بأخٍ لهم من أبيهم،ولما أتوا به جعل برحله صواع الملك،متهماً إياهم بالسرقة، قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف]، لوصوله إلى الهدف الذي هو اجتماع الأسرة والتمام الشمل،بعد كشف حيلتهم الأولى،قال تعالى:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

ثالثاً : مستوى الرمز:

شكل القميص رمزاً دلالياً بعيد الدلالة،فقد شكل نقاط تحول بالقصة كاملة،وتكرر في ثلاث قصصٍ جزئية من قصة يوسف، من رؤياه الأولى إلى تحققها بسجود أبويه له. وسوف نتتبع المواقف التي ظهر بها القميص.

الأول : في المؤامرة التي حاكها أخوته ضده وهي رميه بالجب،وعودتهم إلى أبيهم يحملون قميصه،وعليه دمٌ كذبٌ،فالقميص الملطخ بالدم هو كل ما تبقى من يوسف الغائب، لذا حمل في هذا الموقف «**رمز الغياب**»، وربما حمل دلالة الاحتيال والكذب؛فقد استخدم هذا القميص الملطخ بالدم الكذب في الدلالة على الكذب؛فجاء في الشعر العربي :

جفونك والدموع تجول فيها وقلبك ليس بالقلب الكئيبِ
نظير قميص يوسف يوم جاءوا على لباته بدمٍ كذوبِ

الثاني:وذلك حينما حاولت امرأة العزيز الدفاع عن نفسها،وصرف التهمة عنها بادعائها أن يوسف هو المُدانُ،بإرادته السوء بها؛ولثبوتِ البراءةِ شهدَ شاهدٌ من أهلها،بأن قميصه إذا قُدَّ من أمام فهي صادقة،وهو كاذب،وإن كان قميصه قُدَّ من خلفٍ فإنه صادق وهي كاذبة.قال تعالى:﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف]. فصار هذا القميص هو القاعدة الأساسية التي بني عليها الحكم.

الثالث :حين عادوا بقميص يوسف إلى يعقوب عليهما السلام؛فقد حل القميص محل يوسف،فالقميص هو الذي يرد البصر إلى يعقوب عليه السلام.فهو من خلال هذا القميص يشم ريح يوسف، قال تعالى:﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي

يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف]

١٠٠ فائدة لقصة يوسف عليه السلام

فوائد قصة يوسف عليه السلام كما جمعها الشيخ محمد صالح المنجد:

١- تعاهد الأب أبنائه بالتربية ، و يقرب إليه من عنده استعداد للفهم والعلم والفقه و أن يخصَّه بمزيد من العناية ؛ لأنه كلما كان الإقبال أكثر من الشخص ينبغي أن يكون العطاء له أكثر.

٢- أن الرؤيا الصالحة من الله وذلك لأن يوسف رأى رؤيا حق و أمره أبوه ألا يقص الرؤيا على إخوته.

٣- أن كتم التحدث بالنعمة للمصلحه جائز ولذلك قال (لا تقصص رؤياك على إخوتك) مع أن الرؤيا نعمة هنا (فيكيدوا لك كيدا) إذاً لو كتم إنسان نعمة الله عليه ولم يفشها لئلا يتضرر من الحسد فهذا لا بأس به، وأما التحدث بالنعمة فيكون عند أمْن الحسد فيذكر الإنسان نعمة ربه عليه

٤- أن الشيطان يدخل بين الإخوة،فيوغر صدور بعضهم على بعض مع كونهم أشقاء فيُصّيرهم أعداء .

٥- أن على الأب أن يعدل بين أولاده ما أمكن وأنه لو كان أحد الأولاد يستحق مزيد عناية فإن على الأب ألا يظهر ذلك قدر الإمكان حتى لا يوغر صدور الآخرين .

٦- أن الله سبحانه و تعالى يجتبى من يشاء من عباده و يصطفى و هذا الاصطفاء من الله عز و جل نعمة، فأنت مثلاً تأمَّل كيف أن الله سبحانه وتعالى اصطفاك فلم يجعلك جماداً بل جعلك إنساناً، تأمل كيف اصطفاك الله فلم يجعلك كافراً بل جعلك مسلماً، تأمل أن الله عز وجل لم يجعلك من أهل الكبائر الفسقه المجرمين من أهل البدعة بل جعلك من أهل السنة ، وإذا لم تكن من أهل الكبائر فتأمل اصطفاء الله ولم يجعلك من أهل الكبائر وجعلك من أهل الاستقامة والطاعة والدين،وإذا كنت طالب علم فان الله اصطفاك اصطفاء آخر بأن جعلك صاحب علم،وإذا كنت داعيه فهذا اصطفاء آخر من الله بأن جعلك ليس فقط من أصحاب العلم بل جعلك تدعو إلى هذا العلم،وهكذا،فإذا هي اصطفاءات من الله سبحانه و تعالى للعباد.

٧- أن البيت الطيب يخرج منه الابن الطيب انظر إلي قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾.

٨- أن الغيرة تدفع أصحابها للضرر والإيذاء فإنه لما غاروا من أخيهم سعوا في إيذاءه.

٩- أن هذه الغيرة يمكن أن تؤدى إلي الكيد والقتل و ليس مجرد الإيذاء فإن هذه القضية قد أوصلتهم إلى أن يسعوا إلى قتل أخيهم (اقتلوا يوسف).

١٠- تبييت التوبة قبل الذنب توبة فاسدة ؛ يعنى إذا قال أحد نذنب ثم نتوب فهو مجرد ذنب ثم نستقيم ..... فلنذنب،هذه توبة فاسدة ، لماذا ؟ قال تعالى ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ إذاً هم قالوا نذنب ثم نتوب ، هذه توبة فاسدة . وما أدراهم أنهم سيستقيمون على الدين

والصلاح،فبعض الناس يقول له الشيطان أنت الآن أذنِب ثم تتوب ، فينتكس هذا المسكين و يذهب على وجهه في المعاصي.

١١- أن الإنسان إذا ظن سوء بإنسان فلا يصلح أن يلقنه حجة لأنه يستخدمها عليه ولذلك يعقوب لما قال ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ هو لقنهم حجه استعملوها بعد ذلك قالوا حصل ما تكره وتركنا يوسف عند متاعنا وأكله الذئب، لذا لا ينبغي لإنسان إن شك في شخص أن يلقنه حجة يمكن أن يستخدمها بعد ذلك.

١٢- أن الله عز و جل ثبّت يوسف من بدء أمره فإنه لما كان في البئر ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ ولكن ومتى تحدث هذه التنبئة ؟ بعد حين.

١٣- أن المتظاهر بالأمر ينكشف أمره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل فإنهم جاءوا أباهم عشاء يبكون فهذا تمثيل ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ .

١٤- العمل بالقرائن ومشروعية العمل بالقرائن فإن يعقوب رأى قميصاً لم تعمل فيه أنياب الذئاب قميص سليم مغموس بدم فكيف أكله الذئب- ما هذا الذئب الذي له ذوق يأتي للولد ويخلع قميصه ثم يأكله-كيف يأكله الذئب والقميص سليم ما به تمزيق.

١٥- جواز المسابقة ومشروعيتها ، فالمسابقة تكون على الخيل و السهام.

١٦- إنباء المشكوك في أمره بذلك لعله يتوب قال ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾.

١٧- الصبر الجميل ما هو الفرق بينه وبين الصبر العادي

الصبر الجميل : قال العلماء الذين ليس فيه تشكي ولا جزع يعني يصبر بدون

تشكي ولا جزع.

١٨- البشارة بالأمر السار ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ وقد تكون البشارة بالأمر السيئ (فبشرهم بعذاب أليم) لكن أكثر ما تستعمل البشارة في الأمر الحسن.

ويجوز إعطاء مقابل لمن بشرك بالخير كما أن كعب (رضى الله عنه) لما جاءه الذي يبشره بتوبة الله عليه خلع له قميصه فأعطاه إياه فمن بشرك و قال نجحت ، أو جاءك ولد ، أو بَشَرَكَ بأمر طيب فتكافؤه على البشارة بهدية بأي شيء يُرضيه أو بأي شئ يطيب نفسه جزاء ما أدخل السرور عليك ، فقول العامة (هات البشارة) يعنى له وجه .

١٩-أن الشراء يطلق على البيع و الشراء قال ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ يعنى باعوه بثمن بخس، و كلمة شراء في اللغة تطلق على البيع أيضًا.

٢٠-أن بيع الحر وأكل ثمنه من الكبائر العظيمة وهكذا فعل هؤلاء باعوا حراً وأكلوا ثمنه.

٢١- مِنَّة الله على يوسف أن جعله يتربى في بيت عز و ليس أن يكون ذليلاً مهاناً، لذا قال عزيز مصر لامرأته(أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو تتخذه ولدا.....).

٢٢- أن الشاب إذا نشأ في طاعة الله فإن الله يؤتيه علماً و حكمةً.﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٢٣- خطورة الخلوة بالمرأة في البيت ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ فهذه الخلوة المحرمة تؤدى إلى المصائب العظيمة.

٢٤- كيد المرأة بيوسف فإنها استعانت عليه لإيقاعه في الحرام بأمور كثيرة :

أولاً: راودته هي،فلم يبدأ الشر منه ولكن بدأ منها،والمرأة إذا دعت الرجل إلى الحرام غير إذا دعى الرجل المرأة للحرام ، لأنها إذا دعت الرجل إلى الحرام أزالت الحواجز النفسية فالرجل يخشى إذا دعا المرأة إلى الحرام أن ترفض أو تستنجد بأهلها لكن إذا المرأة دعته للحرام...، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال) . لماذا ؟ لأن الحرام صار سهل لأنها هي التي دعته.

٢٥- أن الله تعالى يُعِين أولياءه في اللحظات العصيبة بأمور تثبتهم ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

٢٦- أن الإنسان لولا معونة الله له لا يثبت على الحق،لولا توفيق الله له و تسديده لا يثبت على الحق ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾.

٢٧- أن شهادة القريب علي قريبه أقوى من شهادة البعيد على القريب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾.

٢٨- عظم كيد المرأة قال تعالى:﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ والذي يتأمل كيف حاكت هذه المرأة المؤامرة وغلقت الأبواب وقالت هيت لك واستعانت بالنسوة.يعنى أن المرأة إذا أرادت أن تكيد كادت، وهذا شئ خلقه الله واستعظمه .

٢٩- عظم جمال يوسف عليه السلام الذي أخذ بالألباب وقال عليه الصلاة والسلام (إن يوسف أوتى شطر الحسن).

٣٠- سرعة سريان الشائعات بين النساء.

٣١- أن الملائكة يمتازون بجمال الخلقة و إن هذا استقر عند الناس لذلك النسوة لما راءوا جمال يوسف (قالوا ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم) فعند الناس

مستقر أن الملك جميل الخلقة و الشيطان قبيح جدا .

٣٢- أن المسلم إذا خُيِّر بين المعصية و بين الصبر على الشدة.يصبر على الشدة ويُؤثر أن يطيع الله ولو رَمَوه بسوء ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾

واستعانة يوسف بالله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يعنى الإنسان ضعيف ويوسف يقول هذا أن الإنسان بدون توفيق من الله ضعيف والمقاومة تنهار فأي واحدٍ يتعرَض لحرام فالمفروض أن يلجأ إلى الله بالدعاء أن يُخَلِصَه من هذا وإنه يصرف عنه الشرَّ و الفحشاء .

٣٣- استجابةُ الله لأوليائه والدعاة المخلصين ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ يسمع دعاء عبده ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بحال هذا العبد الذي يدعوه.

٣٤- أن سيما الصالحين تُعرَف في وجوههم،يعنى الآن اثنان في السجن ومعهم يوسف فلماذا لجئا إليه ؟هل هما يعرفان يوسف من قبل أنه صاحب علم ؟ أو أنه يعبر الأحلام ؟ لا.

فلماذا لجئا إليه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يعنى عليك سيما الصلاح و علامات الصالحين – إذاً أهل الصلاح يظهر عليهم و الناس يحبونهم و ينجذبون إليهم – رغم أن أهل البلد من الكفار فساقِ الملك وخبَّاز الملك و الملك كافر و البلدة كافرة و يوسف هو الموحد الوحيد لجئا إليه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ حالتك وسيرتك وهيئتك و أفعالك ، أنت شخص من المحسنين. كما يقول العامة (من أهل الله) .

٣٥- أن الداعية إذا أراد أن يُلَقِنَ أناساً الحق فإنه يجعلهم يثقون به و يطمئنهم بأنهم قد وقعوا على خبير، قال (لا يأتيكما طعام ..) قبل الجواب لكسب الثقة، فالداعي يحتاج أولاً إلى كسب ثقة المدعو و هي قضيه مهمة ، فبعض المدعوين قد

يلجأ إلى داعية فلابد أن يكون الداعية خبير وعنده ما يعطيه و يثق فيه﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ ﴾ وبدأ قضية الدعوة للتوحيد وهي الفائدة التالية.

٣٦- أن الداعي أول ما يبدأ به التوحيد ، فلقد أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - معاذاً إلى اليمن وقال: ﴿إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ قال ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ ﴾ و قال قبلها ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٣٧- أن تعبير الرؤيا فتوى﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ولذلك قال العلماء لا يجوز لمن لا يعرف في تعبير الرؤى أن يتكلم فيها.

٣٨- جواز اتخاذ الأسباب الجائزة للنجاة قال (اذكرني عند ربك) حتى إذا خرج ذكر القصة للملك والملك ربما يجري تحقيقاً في الموضوع يخرج بسببه يوسف من السجن بريء.

٣٩ ـ أن الرؤيا الصحيحة الحق ممكن يراها الكافر لكن نادراً لأن الملك هذا الذي رأى سبع بقرات سمان وسبع سنبلات هذه رؤيا حق تعبيرها فعلاً حصل ودلت على أن هناك سبع سنوات خصب ثم سبع سنوات عجاف وبعد سنه يأتي فيها الفرج فممكن الشخص الكافر يرى رؤيا صحيحه لكن نادراً.إنما أكثر ما يرى الرؤيا الحق الصحيحة المؤمنون.

٤٠- أن الشخص الذي ذهب ليوسف علَّمه يوسف من غير مقابل .

٤١ ـ أن في هذه الآية: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾. من أصول الاقتصاد وحفظ المال. لماذا ؟ لأنه قال ذروه في سنبله وإذا فرط الحب معرض للتلف أكثر مما إذا بقي في السنبل لذلك قال (فذروه في سنبله) لأنه أحفظ

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ إذاً لابد من الاحتياط والأخذ من أيام الرخاء لأيام الشدة فالآن تأكلون قليلاً منه والباقي يُخزَّن ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ هذه أصول الإقتصاد، انظر كيف أن النبوة فيها تخطيط للمستقبل ومواجهة الحالات الطارئة فيها السبع سنوات العجاف تأخذ مثلاً من السبع السنوات التي قبلها كيف قضية التخزين و كيف قضية تقسيم الأشياء علي كل سنة.فكل سنة لها نصيب بحيث أن ترحيل الأشياء من سنة إلي سنة لكي يحصل سد الحاجة.

٤٢- كيف عرف يوسف أنه سيأتي عام رقم خمسة عشر رخاء .

قيل إن هذا مما فهمه الله ليوسف وعلَّمه إياه لأنه لو كان عام رقم خمسة عشر عام جدب وقحط ما صارت سبع بقرات هزيله وسبع سنبلات يابسات كانت صارت ثمان سنبلات وثمان بقرات هزيله فلما رأى سبعه ثم سبعه معناه أن الذي بعدها ليس جدب وإلا صارت ثمانية فهذا من دقائق الفهم علي أية حال ومما علمه الله ليوسف.

٤٣- أن الداعية إلي الله لا يخرج إلا بعد تبرئة ساحته ليخرج إلي المجتمع نظيفا يعني الآن سمعة يوسف بين الناس ملطخة بالشائعات ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ أشاعوا عليه التهم الباطلة وقالوا أنه راود امرأة

العزيز وكذبوا عليه.فلابد أولاً أن تثبت براءة يوسف أمام الناس لابد من تنظيف السجلات الماضية وإعادة الأمر ناصعاً وإحقاق الحق ولذلك لما جاء الملك أُعجب بالتفسير جداً -وهذه فيها مكانةٌ له - أي الملك - لأنه بسبب رؤياه ستكون هناك سياسة لإنقاذ الشعب فلا شك أنه سُر بهذا- فأراد مكافأة يوسف فلما قال أئتوني به ما خرج يوسف علي الفور والنبي صلي الله عليه وسلم تواضع جداً لّما قال (رحم الله أخي يوسف لو كنت مكانه لأجبت الداعي) تواضع منه قال هذا.فيوسف عليه السلام عنده نظرة بعيدة ما مهم الآن أن يخرج من السجن فقط ؟ المهم إصلاح الأخطاء الماضية إصلاح المفترى عليه . لا بد أن تعاد الأمور إلي نصابها ويصحح الخطأ ويثبت أنه بريء أمام الناس وأنه مظلوم كل هذه السنوات في السجن مظلوم.

٤٤- جواز طلب المنصب إذا كان الشخص أقدر واحد علي القيام به دون أن يضر بنفسه (قال اجعلني علي خزائن الأرض) وبيّن قدراته للملك ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾.

٤٥- أن الله يُمَّكِن للصالحين إذا حَسُنَت نواياهم . قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ ﴾ . لما سُئِل الشافعي أيهما أفضل أُبتلى أم يُمَّكن ؟

أي السؤال أيهما أفضل للمسلم أيبتلى ويصبر علي الابتلاء وعلي الأذى والاضطهاد و كذا وكذا ويُؤجَر عليه أو الأفضل أن يُمَّكن حتى يستفيد من التمكين في نشر الدين ونشر الدعوة ؟ قال الشافعي عبارة عظيمة (لا يُمَّكن حتى يبتلى).

ليس هناك تمكين يأتي هكذا من الهواء والنبي صلي الله عليه وسلم ما مُكِن في المدينة حتى أبتلي في مكة وكذلك الصحابة ويوسف مثال..... متى مُكِن ؟ بعدما أبتلي بالجب وبالسجن وبالذل وبالعبودية.

٤٦- اجتمع ليوسف الثلاث أنواع من الصبر.هم:

- الصبر على طاعة الله .

- والصبر عن معصية الله .

- والصبر على أقدار الله المؤلمة .

٤٧- لو قال قائل كيف عرفهم وهم لم يعرفوه ؟ فالجواب أنه فارقهم وهو صغير وهم كبار فالصغير يتغير عليك إذا رأيته بعد عشر سنوات لكن أنت لا تتغير كثيرا إذا كنت كبيرا فلو مثلا واحد عمره ثلاثين ثم رأيته عمره أربعين ما يتغير عليك كثيرا لكن إذا رأيته عمره عشرة وبعد ذلك رأيته عمره عشرين تغير عليك كثيرا مع أن العشر سنوات هي هي . إذاً هو عرفهم وهم لم يعرفوه لأنه فارقهم وهو صغير وهم كبار فلما رآهم بعد هذه المدة عرفهم.

٤٨- ذكاء يوسف عندما قال ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ ﴾.

لما جهزهم بجهازهم وأعطاهم من الميره وما يحتاجه المسافر قال ائْتُونِي بأخ لكم من أبيكم..... وقيل إن هذا حصل بأنه استدرجهم ليقصوا عليه قصته يعنى من أين أنتم ؟ ومن أنتم ؟ ومن أهلكم ؟ ومن أبوكم ؟ كم عدد الأولاد ؟ كم عدد أفراد الأسرة ؟ هذا شيء وارد أن يسأل وزير التموين أو الشخص المكلف بتوزيع الحصص أو الميره في السنوات العجاف أن يسأل عن عدد أفراد الأسرة لكي يعطيهم على حسب عدد الأسرة . فلما قالوا باقي واحد في البيت فقال حتى أصدقكم هاتوا هذا الذي تقولون أنه باقي في المرة القادمة حتى تكونوا صادقين في الإدّعاء وإلاّ لاأعطيكم شيئًا أبدا فأوجد عندهم الحافز بأن يأتوا بأخيهم لأنه اشتاق إليه ويريد أن يراه وعلى أية حال يوسف مؤيد بالوحي فما يفعله من الأمور في عدد منها يحتمل أنه وحي من عند الله أوحى به إليه.

٤٩- إكرامُ الضيف وتزويدُ المسافر بما يحتاج ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ وأنه ينبغي على المسلم أن تكون هذه عادته المستمرة.﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ لكم ولغيركم.

٥٠- جواز اتخاذ الحيلة المباحة للتوصل للمقصود المباح.

فإنه قال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يعنى الأوعية التي جعلوا فيها الطعام والبضاعة التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام.... اجعلوها في رحالهم وأعيدوها فيها حتى إذا انقلبوا إلي أهلهم وفكوا المتاع عرفوا ذلك بأنهم أخذوا الطعام منا بلا ثمن فيحملهم ذلك زيادة على العودة .فإذا اكتشفوا ذلك سيقولون نسوا أن يأخذوا منا الثمن . الآن لابد أن نرجع ونعيد الثمن إليهم ....يوسف يريدهم أن يرجعوا بأخيه ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾. فتوصل بالحيلة المباحة إلى المقصود المباح.

٥١- أن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين فقال ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ فالمؤمن كيس فطن لذلك يعتبر بما أصابه في الماضي ويمتنع عليه إن يحصل له مثلما حصل له من قبل بفطنته وذكاءه ولا يكون مُغفلاً.

٥٢- أن التوكل على الله هو السبب في دفع المكروهات.فإن يعقوب لم يقل لن أرسله معكم فقط بل اعتمد على الله ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فتوكل يعقوب على الله عز وجل.

٥٣- أن الإكرام-إكرام الناس- وسيله إلى جذبهم.

٥٤- أن الإنسان إذا رأى أنه محتاج لفعل أمر لكن فيه نسبةَ مخاطره مع شخص آخر لأن فيه شئ من عدم الثقة. فإن أخذ الموثق من الله ... وأن يقول له عاهدني

بالله العظيم أن تفعل كذا ولا تفعل كذا...... أن ذلك مما يقلل نسبه المخاطرة لذلك يعقوب قال﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الموثق الميثاق مثل أن يحلفوا له بالله العظيم أنهم يردون أخاهم ويرجعونه ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾.

٥٥- أن الإنسان إذا غُلِبَ على أمره فهو معذور وهذا من فقه يعقوب حينما قال إلا أن يُحاط بكم. فهو صح أن يطلب منهم أن يردوا أخاهم لكن فيما يقدرون عليه لكن إذا غُلِبوا ولم يستطيعوا أبداً فهم معذورون ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

٥٦- أن إعلان التوكل على الله بعد إبرام العقود مما يُزيدها بركه وخيرا وتذكيرا للطرفين بما تعاقدا عليه فماذا قال يعقوب (قال الله على ما نقول وكيل) توكلنا على الله.

٥٧- أن أخذ الأسباب للوقاية من العين أمر مشروع بدون وسوسه فإن يعقوب قال لأبنائه ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾. أولاد يعقوب كان فيهم جمال وهم عدد وذكور وإذا صار الواحد عنده ذكور وعدد وفيهم جمال هذه مجلبه للعين ولذلك يكون عدم ظهورهم كلهم معاً في مكان واحد أحسن.

٥٨- أن الإنسان المسلم عليه أن يدفع الريبة عن نفسه .....فدخول هؤلاء العدد (إحدى عشر) من باب واحد مرة واحدة ...دفعة واحدة... ممكن يثير الريبة أن هؤلاء يريدون شراً ، يريدون أمراً.. عصابة.... ولذلك قال ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ فليس فقط من أجل قضيه العين وإنما من أجل ألا يثيروا الريبة فيهم... لئلا يظن بهم ظن سوء ....أنهم لصوص ..يريدون أمراً خطير. لذلك ينبغي على المسلم إذا كان بإمكانه أن يدفع الريبة عن نفسه عليه أن يفعل ذلك ولا يتصرف تصرفا يثير الشبهة فيه.

٥٩- أن اتخاذ الأسباب لا يمنع من وقوع قدر الله. فإن القدر إذا كان سيقع

فسيقع لكن العقل والشرع يقتضيان الأخذ بالأسباب لكن لابد أن يعرف الذي يتخذ السبب أن السبب لن يحول بينه وبين وقوع القدر إذا كان الله قد قضى من قبل أن القدر سيقع ولذلك قال يعقوب من فقهه- ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾.

٦٠ ـ إكرام الأخ أخاه . قيل نزل كل اثنين في غرفه فتبقى واحد وهو أخوهم الصغير لأن عددهم فردى (إحدى عشر) وقال ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ تأكيد.. فعرفه بنفسه.... وأكيد أن هذا الصغير يعرف أن له أخ اسمه يوسف ربما كان يعرف أيضا القصة ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فلعله طلب منه أن يُخفى أمره.الشاهد أنه أواه إليه وأكرمه وكيف لا يكون الإكرام وقد فرقت السنون بينهم في هذه المدة الطويلة.

٦١- أن يوسف عليه السلام أراد أن يأخذ أخاه بالحيلة الشرعية ولا يريد أن يأخذ أخاه على حسب دين الملك الجاهلي وإنما على حسب شريعة يعقوب في شريعة يعقوب كان السارق يؤخذ عبداً عند المسروق منه فأراد ذلك بحيله فماذا فعل ؟ لما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه.

٦٢- أن الجعاله مشروعه وهى أن تقول من وجد ضالتي فله ألف ريال مثلا هذا جُعل تجعل مبلغ مقطوع لمن فعل لك شيء معين.... هذه غير الإجارة فالإجارة العمل فيها معلوم والجعاله العمل فيها غير معلوم . ففي الإجاره لا تقول من وجد بعيري ..لأن وجدان البعير ممكن يأخذ ساعة ممكن يأخذ سنه وأنت تبحث عن بعير الرجل.لكن لا يجوز أن يكون الجعل مجهولا (من وجد محفظتي فله ما فيها) يمكن يطلع فيها ريال ويمكن يكون فيها ألف إذاً لابد من عقد الجعاله أن يكون الجعل معلوم ولو كان العمل مجهول.قالوا:﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ وحمل البعير معلوم أنه يحمل خمسين كيلو مثلاً من الطعام أو القمح.

٦٣- (وأنا به زعيم) جواز عقد الكفالة.يعنى كفيل بحِمْل البعير فهذان عقدان بكلمتين من القرآن فهذا من بلاغه القرآن في كلمات بسيطة جدا مشروعية عقد الجعاله والكفالة ثم بعد ذلك استدرجهم يوسف عليه السلام ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أنتم احكموا ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الذي يوجد في رحله هو نفسه جزاؤه أي يُؤخذ عندنا عبداً.

٦٤ ـ أن الإنسان إذا أراد أمرًا فعليه أن يهيئ له الأسباب لئلا ينكشف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لأنه لو بدأ بوعاء أخيه ووجده صارت مكشوفة لكنه بدأ بأوعيتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه وهذا يدل على إحكام الخطة فان الله تعالى لما أراد أن يأخذ أخاه عنده هيئ الله له كل هذا وجعل الأمر يسير حتى يخرج أخوه يوسف وهم لا يشكون في الأمر وأن أخاهم سارق وأخذ أخاهم بشريعة يعقوب ولم يؤخذ بدين الملك.

٦٥- وجوب التحاكم إلي شريعة الله وعدم جواز التحاكم إلي القوانين الجاهلية والأنظمة الخبيثة وإنما إلي شرع الله عز وجل وكتابه وسنه رسوله صلي الله عليه وسلم ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ ولكن بشرع الله .

٦٦- أن كتاب الله يجب أن يؤخذ ويُعمل به بما أراده عز وجل والمقصود من الآية يُعمل به أما ما ليس مقصودا منها فلا يُعمل به وهذا مبنى على قصه في هذه الآية ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾.

٦٧- بدعة ما يفعله بعض الناس من استعمال الآيات في غير مواضعها.

٦٨- استعظام شأن العهد واستشعار المسئولية والعمل لتحقيق ما أخذ على الإنسان من الموثق الغليظ.

٦٩- أن الإنسان يؤيد كلامه بالشواهد إذا احتمل التكذيب أي إذا كان كلامك

محتمل أن يكذبه الشخص الآخر برهن له بالشواهد فقالوا: اسأل القرية التي كنا فيها وإنا لصادقون.

٧٠- أن الصبر الجميل عاقبته حميدة والفرق بينه وبين الصبر العادي.الصبر الجميل الذي لا يبوح فيه صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره لله.

٧١- حسن الظن بالله عز وجل وهذا من مقتضيات التوحيد وعكسه من قادح التوحيد.

٧٢- أن البكاء لا ينافى الصبر ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ فمن البكاء والدمع انقلب سواد عينيه بياضا من كثره البكاء.

٧٣- أن الإنسان المسلم يشكو إلي الله ولا يشكو أمره إلي الناس والشكوى للمخلوق هي شكوى الرحيم إلي الذي لا يرحم.

٧٤- الفرق بين التحسس والتجسس.... أن التجسس فيه الإطلاع على العورات والاستماع إلي حديث من لا يريدك أن تستمع إلي حديثه أما التحسس فهو تفقد الأخبار .....جمع المعلومات بدون أن تسمع لحديث قوم لا يريدون أن تستمع لحديثهم ولا النظر من ثقب الباب أو اطلاع على عورات القوم والتجسس فيه الاطلاع على عورات القوم والاستماع إلي الحديث خفيه وهذا حرام أما أن تسأل وتقول هل رأيت فلان ذهب من هنا ؟ هل مر بك فلان ؟ تجد مجلس عام تسمع الكلام ربما فيه معلومة تفيدك في البحث عن المفقود إذا التجسس في الشر والتحسس في الخير التجسس وسائله محرمه والتحسس وسائله مباحة فقد تسأل حلاق أو واحد في الطريق فتجمع معلومات للوصول إلي شيء مباح .

٧٥- تحريم اليأس من رحمه الله وأنه مناف للتوحيد وأن القنوط من رحمه الله مناف للتوحيد فهو أمر محرم ولا يجوز.

٧٦- أن الله عز وجل يؤيد المظلوم ولو بعد حين ويجعله في منزلة عالية إذا صبر واتقى.

٧٧- أن الإنسان إذا رأى قريبه في ذل فإنه لا يزيد همه وذله بل يرق لحاله ويوقف المأساة، فيوسف ما كان يريد أن يتشفى، لو كان يريد أن يتشفى كان تركهم يسألون زيادة ويتذللون ويردهم مره ثانيه وثالثه ويعذبهم،لكن لما رأى الحال وصل بهم إلي هذا رق بهم وأوقف الأمر وكشف الحقيقة ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ كشف الموضوع فالإنسان لا يتمتع بمآسي الآخرين ،فإن بعض الناس عندهم هذا الأمر... يمعن ويتمتع بالمآسي ويوسف عليه السلام لا يمكن أن يفعل ذلك.

٧٨- أن الإنسان لا يقول هذا المنصب بذكائي وصلت إليه وهذه المكانة بقدراتي الجبارة. أنظر يوسف عليه السلام : قال: ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ اعتراف لله بالمنة ..فالإنسان مهما وصل لايغتر بما وصل إليه من مرتبه أو مرحلة ويردها إلي الله ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ اعتراف لله بالمنة.

٧٩- الجمع بين التقوى والصبر وأن الله يعقب العواقب الحميدة لمن يتقى ويصبر.

٨٠- أن المسلم يراعى مشاعر إخوانه فيوسف قال (لا تثريب عليكم اليوم).

٨١- العفو عند المقدرة.

٨٢- الدعاء لمن أخطأ عليك بالمغفرة (يغفر الله لكم) فإذا واحد ظلمك قلت يغفر الله لك ....نعم فلك أجر عظيم.

٨٣- معجزات الأنبياء. فإن القميص لما ألقى على وجه يعقوب رجع بصيرا مع أن لو أب أعمى أتيت له بقميص ولده لا يحدث هذا فالله عز وجل يخرق العادة

بمعجزات الأنبياء كما حصل في هذه المعجزة المشتركة ليوسف ويعقوب عليهما السلام بإلقاء القميص على وجه يعقوب فيرتد بصير.

٨٤- أن الأشياء المعنوية يحس بها الإنسان يعنى عندما يقول: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ هل يوسف ريحه يوجد من مصر إلى فلسطين؟ لكن هناك قوه خفيه الله أودعها في نفوس الناس يمكن أن تكون معجزه ليعقوب عليه السلام أن شم رائحة ولده عبر هذه المسافة الطويلة جدا.

٨٥- استحباب البشارة وأن البشير يسبق الناس إلى المُبَشر (فلما أن جاء البشير) هذا أول واحد السابق الذي يسبق بالخبر السار يسمى بشير، واستحباب البشارة واستحباب المكافأة على البشارة كما ورد في السنة.

٨٦- طلب الإستغفار من الأب عند عقوقه، فإنهم عقوا أباهم فما هى الكفارة إذا واحد عق أباه أو أمه ؟ . أن يقول يا أبى استغفر لى هذا من كفارات العقوق لأن هؤلاء قالوا (يا أبانا استغفر لنا).

٨٧- اعترافهم بالخطأ بقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

٨٨- التماس أوقات الإجابة في الدعاء لأن يعقوب ما دعا مباشرة بل أخره.... قال بعض المفسرين أخر الدعاء إلى السحر يعني سوف استغفر، ولم يُعجِل بالدعاء لعظيم جريمتهم وأراد أن يخلص لله الدعاء ويتحرى ساعة الإجابة شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم.

٨٩- إكرام الأبوين وبرهما. لأنه أوى إليه أبويه وضمهما إلي مسكنه الخاص والباقي أنزلهم في غرف الضيوف. مثل أن يكون لك غرفة خاصة مهيئة مزينه فإذا جاء والدك أو والدتك تؤويهم في نفس المكان الذي أنت فيه ؟ أم في غرفة الضيف ؟ غرفة الضيف يمكن أن تكون لأي أحد لكن إذا أنزلتهم في مكانك الخاص فهذا

زيادة إكرام وهذا ما يليق بالوالدين ..... والبر بهما.

٩٠- طمأنة الخائف ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ آمنين لا خوف عليكم.

مثل ماقال الرجل الصالح في قصة موسى ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص] لأن هذا ما يحتاج إليه الشخص الخائف.

٩١- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فيها مزيد إكرام كما تقدم.

٩٢- ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ كان هذا جائز في شريعتهم ولا يجوز في شرعنا لحديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ قُرْحَةً تَنْبَجِسُ بِالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ**». فإن شرع من كان قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ أو ينهي عنه.

٩٣- أن تأويل الرؤيا ممكن أن يقع بعد سنين طويلة.أي أن الإنسان يرى رؤيا اليوم يتحقق تأويلها بعد عشرين سنه ...ثلاثين سنه وأنه لا يشترط أن يرى الواحد الرؤيا اليوم...غدا يقع تأويلها؟ لا. يمكن أن يكون هناك فارق كبير بين وقوع الرؤيا حقيقة وانطباق الرؤيا علي الواقع وبين الرؤيا نفسها.

٩٤- الحفاظ على مشاعر الآخرين وعدم جرحها وإيذاءها فإن يوسف قال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ ما قال بعد ما ظلمني أخوتي ما قال بعد ما ألقوني في الجب..... يعنى وضع اللوم على الشيطان بدلاً من أن يضعه على إخوته وهذا من مكارم الأخلاق ومما يليق بالأنبياء ...هذه أخلاق الأنبياء.

٩٥- الاعتراف لله بالنعم في جميع الأحوال التي يتقلب فيها الإنسان .قال تعالى: ﴿أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ وقال تعالى:﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ . أي منه

من الله على أن جمع شمل العائلة مره أخرى وإخراجي من الجب نعمه....

٩٦- قال يوسف:(أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) ولم يقل الجب فلماذا؟

طبعًا يلاحظ أن يوسف هنا قال ﴿أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ولم يقل الجب مراعاة لإخوانه لأنهم هم الذين القوه في الجب فأعرض عن ذكره بالمرة ....

٩٧- أن الله لطيف وأنه يلطف بعباده وكما لطف بيوسف فلم يجعله يموت في الجب ولا يجعله يبقى في السجن ولم يبقى فقيرا ولم يبقى مظلوما وإنما لطف به وجمعه بأهله بعد سنين.

٩٨- قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا يتلاقيا...فسبحان من جمع هذه الأسرة بعد هذه الفترة الطويلة.

٩٩- أن الإنسان المسلم إذا اكتملت له نعم الله فإنه يسأل الله الوفاة على الإسلام وبقى أن يهتم جدًا بالخاتمة وهى الوفاة على الإسلام . لذلك لما رأى يوسف كل ما يريد يتحقق ... العزة في الدنيا تحققت والملك صار إليه والمكانة والغنى واجتماع الأهل ومجيء الأبوين ....

١٠٠- المراد من القصة هو الوقوف علي العبر والعظات التي فيها وأنها ما كانت قصة مفتراه ولكنها تصديق لما جاء من قبل لأهل الكتاب وتفصيل للشرائع وهداية للخلق من الغواية والضلال ورحمة للمؤمنين...... وعلية فلن ينتفع بهذه الآيات إلا أولوا الألباب أي أصحاب العقول الزكيه الطاهرة وهكذا سائر القصص في القرآن.

الفصل الثالث

الجوانب البصرية والسمعية والحسية في قصص القرآن الكريم

أولاً : نظرة شاملة

لقد اعتمد القرآن الكريم كثيراً على التصوير في إعجازه الأسلوبي وبيانه التعبيري واتخذه أداة للتعبير عن كل المعاني والأحوال والمشاهدات المحسوسة وغير المحسوسة كما اعتبره وسيلة للإمتاع الفني لقارئه وبذلك كان البحث في التصوير موصلاً للكشف عن بعض جوانب الإعجاز القرآني وجماليات التعبير فيه . القرآن الكريم – كتاب الله – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكلامه الذي أعجز أرباب الفصاحة والبلاغة عن الإتيان بمثله أو ببعضٍ من مثله، كتاب حفل بالتشريع والتنظيم والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص والأخبار وصاغ كل ذلك المختلف في أسلوب مؤتلف خلب الألباب وأذهل العقول وأثَّر في سامعيه أبلغ تأثير «ببلاغة ألفاظه وجرس أصواته وكان له من الوقع في القلوب والتمكين في النفوس ما يذهل ويبهج ويغلق ويؤنس ويطمع ويؤنس ويضحك ويبكي... [1]» وقد بلغ هذا التأثير حداً جعل بعضهم يعزل هذا الوجه من أوجه الإعجاز عن الوجه البلاغي [2] فهو كلام قرآني بالمعنى «اللطيف الذي يتميز فيه العالم المتقدم ويقر بالقصور عنه النقاب المبرز [3]».

---

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني، ٢٤٨.

(٢) من بدائع النظم القرآني ، إبراهيم الجعلي ، ص ١٥.

(٣) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، ٦٢.

وقد دارت حول القرآن الكريم دراسات شرعية كثيرة في عددها متنوعة في اتجاهاتها كما دارت حوله أيضاً دراسات أدبية كثيرة والدراسة الأدبية لأي موضوع من مواضيعه هي تعبير عن «تفاعل نقط عديدة في بؤرة واحدة» [1] لقد اعتمد القرآن كثيراً في أسلوبه البليغ على «التصوير» بل اتخذه الأداة المفضلة في التعبير عن كل المعاني الذهنية والأحوال النفسية والمشاهد المنظورة وهو بذلك يعطيها حركة وحياة تتجلى من خلال الحوار وتعدد المناظر وتجدد الحركات فتؤثر في النفوس وتحدث الانفعالات[2] وبذلك يتحول التصوير من حلية إلى وسيلة ناجحة وطريقة ناجعة في رسم معالم النفس الإنسانية وأحوالها وأوضاعها وتحويل كل ما هو معنوي مجرد إلى محسوس ملموس يحقق فائدة معنوية ومتعة نفسية ويخاطب العقل والقلب معاً. ولما كانت وظيفة الكلام الإبانة عن الأغراض وكلما كانت الإبانة عن هذه الأغراض قوية من خلال التصوير الدقيق والنظم الحسن كان الكلام شريفاً[3] وقد أسهم التصوير في الكشف عن بعض جوانب الإعجاز القرآني[4] وساعد على استرواح الجمال الفني الخالص في كتاب الله ومكن الدارسين من الوقوف بأنفسهم على ذلك الجمال والاستمتاع به في وجدانهم وشعورهم[5]، ولا نقصد بالتصوير هنا حصره في المصطلحات البلاغية المعروفة سواء ما اتصل منها بعلم البيان[6] أو بعلوم البلاغة الثلاث[7] -فقط- بل نعني به مفهوماً أوسع

(1) نظرية المعنى، مصطفى ناصف، ١٩٢.

(2) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ٢٦.

(3) إعجاز القرآن، الباقلاني، ١٢٢-١٢٣.

(4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ٢٣٠-٢٣٣.

(5) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ٣١٩.

(6) الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، ٣.

(7) جماليات الأسلوب «الصورة الفنية في الأدب العربي»، د. فايز الداية، ٩.

يشمل اللغة بألفاظها وأصواتها والعلاقات التي تربط اللفظة بما يجاورها من ألفاظ[1] إذ «الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار[2]» وهي «تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر»[3]، وعليه فالتصوير هو تمثيل وقياس لما ندركه بعقولنا عن الذي نراه بأبصارنا[4] أي باللغة، فاللغة وسيلة للتصوير وهي ليست مجموعة من الألفاظ فقط بل مجموعة من العلاقات[5] التي تربط هذه الألفاظ بعضها ببعض وهذه الألفاظ بأصواتها ومعانيها المستقرة في الأذهان وإضفاء شحنات دلالية إضافية لها من خلال السياق والتركيب – كل ذلك – يوجد لوناً من التصوير قادراً على إيصال المعنى المراد وإحداث الأثر المطلوب في نفس المتلقي أياً كان مجال التصوير ونوعه. وبذلك يتحقق البيان بمفهومه «إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»[6].

وأراد الباحث أن يعطي نموذجاً تحليلياً عن الجوانب السمعية والبصرية والحسية وهو ما لا يجده في البحوث السابقة في قصص القرآن الكريم.



(1) ينقل ابن رشيق عن الجرجاني قوله « التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة وأخرى بالحالة والطريقة » العمدة ، ١/ ٢٩٥ وينظر في هذا المفهوم أيضاً : لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، سعد حموده، ١٥٧- ١٥٩ .وأيضاً ينظر: الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى، فتحية محمود فرج العقدة، ٢٢٨.

(2) العمدة، لابن رشيق القيرواني، ١/ ٢٢٢.

(3) المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب ، لابن الأثير، ١/ ١٨١.

(4) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ٥٠٨.

(5) في الميزان الجديد، محمد مندور، ١٧٧ .

(6) العمدة ، ابن رشيق ، ١/ ٢٥٤.

ثانيا : أمثلة على الجوانب البصرية والسمعية والحسية

(١) قصة فتية الكهف.

النمط البصري	النمط السمعي	النمط الحسي
١ ـ وصف الكهف ٢ ـ هيئة الكلب ٣ ـ هيئة أهل الكهف داخل الكهف ٤ ـ هيئة العملة	١ ـ سماع صوت الفتية ٢ ـ سماع صوت أهل المدينة	١ ـ الحرس والتلطف ٢ ـ الخوف والتوجس.

أولاً :النمط البصري.

أول ما يخطر ببالنا صورة الكهف وهيئته من حيث موقعه وفتحته بالنسبة لوضع الشمس، وفتحة مدخله وحجمه من الداخل وهيئة الكلب وشكل العملة، وهيئة الفتية من حيث طولهم وطول شعرهم وهيئة وجوههم. وهنا تظهر ملامح البناء الفني وأسلوب السرد للقصة، وهنا تتبدى أهمية المكان . (الكهف) في التعبير عن المعنى من عدة جوانب، فهم يفضلون الكهف بشظفه وخشونته على رفاهية حياة المدينة التي كانوا يعيشونها، وفي هذا دلالة على صدق عقيدتهم ، ومن ناحية أخرى يعبر الكهف بشكله المعهود كأن الطبيعة تحتويهم في أحضانها وقت حاربهم البشر وهنا يظهر لنا ملمح فني جديد، فيما يسمى (**ضغط الزمن**) فالفن لا يهتم بالزمن الضعيف الذي لا يأتي بأحداث مؤثرة، فتقفز القصة إليهم وهم نائمون في الكهف. ونحلل النمط البصري من خلال العناصر التالية:

١ ـ وصف الكهف:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٧].

فها هم أولاء نراهم في الكهف نائمون ، وهنا تتجلى مظاهر الدقة الفنية في رسم الجو العام ووضع إضاءته المناسبة ما بين الخارجي والداخلي، إذ تراهم نائمون في الداخل وأشعة الشمس تتماوج في الخارج لتعبر عن حركتها وهي تزاور عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم، ونلمح هنا أسلوب فني لم يكتشفه الإنسان إلا في القرن العشرين في فن السينما، وهو أسلوب (**الفوتو مونتاج**) وهو عرض مجموعة لقطات سريعة تعبر عن حدث ومرور فترة زمنية، وهنا تعبر آيتان عن مرور ثلاثمائة وتسع سنين، وذلك بأسلوب (الفوتو مونتاج) في مرور الشمس وتقلبهم المستمر.

٢ ـ هيئة الكلب:

قال تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨].

٣ ـ هيئة أهل الكهف داخل الكهف:

قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

٤ ـ هيئة العملة:

وهنا يأتي دور التركيز على التفاصيل المنتقاة بدقة في قوله تعالى ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [**الكهف**]. والورق بكسر الراء هو العملة الفضية، وبالتالي لم تتلف بمرور الزمن بل أنها ستكون سبب اكتشاف أمرهم، فهي

عملة تعبر عن حقبة تاريخية معينة وأهل المدينة يتناقلون أمر الفتية الذين اختفوا في تلك الفترة...

ثانياً :النمط السمعي. والبعض الآخر أول ما يخطر ببالهم :

١ـ سماع صوت الفتية:

وهم مستيقظين من نومهم قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [**الكهف**]. يستيقظون من نومهم الطويل وكأنهم ولدوا من جديد من رحم الطبيعة، يتساءلون كم مر من الوقت؟ يظنون أنه يوماً أو بعض يوم، فلا شيء غريب يلفت نظرهم لمرور هذه الفترة الزمنية الطويلة، ولكننا نعلم أنهم لبثوا أطول من ذلك بكثير، وهذا هو أهمية المقدمة في هذه القصة، وبما أنهم مؤمنون فليكن إذن الحوار معبر عن الشخصيات بصدق فيكون الجواب ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [**الكهف**:١٩]. وفي نفس الوقت فهم لا يعلمون بما مر من الزمن فنراهم متخوفون أن ينفضح أمرهم، فهم يوصون رسولهم بأن يتلطف في الحركة ولا يشعرن بهم أحداً لئلا يعرف القوم مكانهم فيرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم، ولكننا مطمئنون نعرف أن هذا لن يحدث، فالمقدمة قد أخبرتنا أن الله تعالى قد تولى أمرهم، ولكن يأخذنا الفضول لنعلم باقي قصتهم العجيبة هذه فنستكمل القراءة بهدوء واطمئنان فنحن نعلم أنه (**فلاش باك**) .

٢ ـ سماع صوت أهل المدينة:

وهنا الإبداع الفني يتجلى مرة أخرى إذ أن الفن هو انتقاء لمكان وزمان ورسم شخصيات وتضفير المعاني بالتفاصيل المناسبة لها، فتكون العملة الفضية خير

تنصيلة يتم استخدامها في التلميح بطريقة اكتشاف أمرهم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

يتم ضغط الزمن مرة أخرى والقفز بالحدث فلا نجد إلا أن أمرهم قد إكتشف، فهنا فجوة مجهولة، فلا يهم تفاصيل من اللغو في كيفية ذهاب الرسول وكيفية اكتشاف الأمر، فهدف القصة ليس مجرد التسلية ولكنه هدف ديني من المقام الأول والمضمون لابد أن يطغى، وإن كان التلميح بالعملة الفضية فيه الكفاية يكتشف أهل المدينة وإن كان الناس يومئذ مؤمنين لا كافرين، يقرر أهل المدينة الاحتفاء بالفتية.. ولكن الله تعالى قد أماتهم.. وهنا ضغط زمن آخر، فالله تعالى قد أماتهم برحمته بعد هذه التجربة الصعبة التي لا يستطيعون تحمل تبعتها نفسياً.. ولا نعلم كيف تم الأمر فهو الذي يحيي من يشاء ويميت من يشاء، فقد أحياهم للموعظة وليكونوا آية وموعظة للناس وليس لكي يستكملوا حياتهم، فالحياة بعد هذه التجربة الصعبة لا يحتملونها... والغموض هنا في كيفية موتهم يزيد من رونق القصة، فقد طواهم المجهول في كنفه بعد ما تمت الحكمة الدينية من بعثهم....

ثالثاً: النمط الحسي. والبعض الثالث أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ الحرس والتلطف:

وهو توخي الحيطة والحذر أثناء دخولهم المدينة أول مرة: قال تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾. [الكهف].

٢ ـ الخوف والتوجس:

وهو خوفهم من أن يظهر أمرهم وينكشف سرهم فيعلم الملك بهم ويجبرهم على

العودة إلي الشرك مرة أخرى: قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾. [الكهف].

(٢) قصة مريم وولادة عيسى عليه السلام

النمط البصري	النمط السمعي	النمط الحسي
١ ـ هيئة المكان وموقعة من بيت المقدس ٢ ـ هيئة الملك وصورته البشرية ٣ ـ هيئة النهر والشجرة وجذعها ٤ ـ هيئة مريم أثناء الحمل وآلام الوضع	١ ـ حوار مريم مع الملك في الخلوة ٢ ـ صوت الملك وهو يطمئنها أثناء الولادة ٣ ـ حوار أهل مريم لها بعد عودتها بعيسى عليه السلام ٤ ـ صوت عيسى عليه السلام في المهد	١ ـ رهبة مريم عند رؤيتها للملك لأول مرة ٢ ـ خوف مريم من هذا الحمل وابتعادها عن أهلها عندما اتخذت مكاناً قصيا ٣ ـ خوف مريم من الفضيحة بأن لا يصدقها أهلها بهذا الطفل عند العودة به بعد الولادة

أولاً :النمط البصري:

أول ما يخطر ببالنا من هيئة المكان وموقعه من بيت المقدس والنهر، وهيئة الملك وهو يحدثها وصورته البشرية وشكل الشجرة التي كانت تلد تحتها وشكل مريم أثناء الولادة وصورتها أثناء آلام الوضع وهي تمسك بجذع الشجرة وتعبيرات وجهها وهي راجعة بالطفل لأهلها.. وهنا تظهر ملامح البناء الفني وأسلوب السرد للقصة، وهنا تتبدى أهمية المكان في التعبير عن المعنى من عدة جوانب، ومن

ناحية أخرى تعبر الشجرة والنهر بشكلهما المعهود كأن الطبيعة تحتويها في أحضانها وقت خروجها من بيت المقدس وهنا يظهر لنا ملمح فني جديد، فيما يسمى (**ضغط الزمن**) فالفن لا يهتم بالزمن الضعيف الذي لا يأتي بأحداث مؤثرة، فتقفز القصة من الخروج من بيت المقدس إلى النهر إلى الشجرة إلى قومها ومعها الطفل دون المرور بمراحل الحمل ومدته. ونحلل النمط البصري من خلال العناصر التالية:

١ ـ هيئة المكان وموقعة من بيت المقدس:

أول ما يتبادر إلى الذهن الموقع الجغرافي للمكان التي كانت تستر فيه نفسها، وموقعه بالنسبة إلى بيت المقدس، أهو على النهر مباشرة؟، أهو بعيد عن العمران؟، ألم يراها أحد وهي في هذا الموضع؟،أكانت تستعمل ستاراً معيناً من الألياف أو القماش، حتى لايراها أحد؟ ، أكان الستار على هيئة مربع ناقص ضلع ومفتوح من تجاه النهر؟.... كل هذه أسئلة تتبادر بالذهن عندما نقرأ قوله تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾﴾ [مريم].

٢ ـ هيئة الملك وصورته البشرية:

أول ما يتبادر إلى الذهن صورة الملك... هيئته ... لون بشرته... هيئة ملابسه... طول قامته... تعبيرات وجهه.... نبرات صوته... مكان وقوفه... نظراته... هل مريم كانت مستترة؟ ....هل وضع يده على كتفها ليطمئنها؟....هل شكله يشبه أحد من قومها؟....أم شكله وكأنه آت من مكان بعيد؟.....إلخ. كل هذه أسئلة تتبادر إلى الذهن عندما نقرأ قوله تعالى:﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾﴾ [مريم].

٣ ـ هيئة النهر والشجرة وجذعها:

أول ما يتبادر إلى الذهن... شكل الشجرة.... هل جذعها سميك؟.... هل

طويلة؟....هل الرطب كان مرتفعا؟.... هل الشجرة كانت مائلة نحو النهر؟... هل الماء كان مرتفعا وفي متناول يدها؟.... هل التربة على الشاطئ كانتة طينية أم رملية؟.... هل الشجرة بمكان لايستطيع أحد أن يرى مريم تحتها أثناء الولادة؟....هل جذع الشجرة كان كبيراً بحيث تستتر وراءه بحيث لا يراها أحد؟...إلخ. كل هذه أسئلة تتبادر إلى الذهن عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾. [مريم].

٤ ـ هيئة مريم أثناء الحمل وآلام الوضع:

أول ما يتبادر إلى الذهن... صورة مريم وهي تتألم وتتلوي من شدة الألم... ليس هناك مغيث ولا منقذ ولا مساعد إلا الله ـ سبحانه ـ لقد بدأت تعبيرات وجهها تتغير ... إنه مزيج من الألم الجسمي ... والصراع النفسي... إنه الخوف ممزوج بالألم.... ماذا حدث لى؟.... إن هذا أمراً غريباً وعجيباً ... حقاً ...إنه لم يحدث لفتاة من قبلى.... ياليت... أمي لم تلدني... ياليتني كنت سقطة يوم ولدتني أمي...إلخ. كل هذه تعبيرات يمكن أن نحسها عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾. [مريم]

ثانياً :النمط السمعي. والبعض الآخر أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ حوار مريم مع الملك في الخلوة: أول مايتبادر إلى الذهن الحوار التالي:

مريم: من أنت؟!!! ... إني أعوذ بالله منك إن كنت تخشى الله. ......إن كنت تخاف الله ...ارحل من هنا...

جبريل:أنا رسول من عند الله رب العالمين؟.... أرسلني الله تعالى إليك لأبشرك

بأنك تحملين في نبي وجيها في الدنيا والاخرة.

مريم: وكيف لي أن أحمل وأنا غير متزوجة؟ ... إنني لم أمارس البغاء... إنني لست كذلك.

جبريل: إن ربك يقول لك : هذا شيء سهل وهين على الله تعالى الذي خلقك... وابنك هذا يكون آية لطلاقة قدرته في الكون ولا يكون هناك حمل مثلك بعد... وهذا أمر دبر من قبل وكتب في اللوح المحفوظ... فلا تبديل ولا تغيير لأمر الله

هذا الحوار نتخيله عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾. [مريم].

٢ ـ صوت «عيسى» وهو يطمئنها أثناء الولادة:

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾. [مريم].... نتخيل الحوار التالي:

مريم: ياليت أمي لم تلدني... ماذا أقول لقومي؟

عيسى: ياأمي لا تحزني؟... إن الله تعالى قد جعل حولك نهر تغتسلي منه وتشربي... ولن ينساك.... هزي؟.... هزي ياأمي بجذع النخلة؟.... الرطب سوف يسقط بأمر الله على الأرض... كلي واشربي ولا تحزني؟... وعندما يكلمك أحد من أهلك ... لاتتكلمي؟.

٣ ـ حوار أهل مريم لها بعد عودتها بعيسى عليه السلام :

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن

كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾. [مريم]........ يتبادر إلى ذهننا الحوار التالي:

أهل مريم: ماهذا الذي تحملينه على يديك يامريم؟ ....لا...لا...إنّ هذا أمر لايصدر عنك أبداً!!! ... أأنت تسخرين منا؟!!... كلا...كلا... إن أباك كان رجلاً صالحاً!!! ... وأمك من سلالة طاهرة عفيفة!!!! .... إننا لانكاد نصدقك أنك...!!

مريم: لاتتكلم... وتشير إلى ولدها!!!.

أهل مريم:آتسخرين منا يامريم؟... هذا طفل رضيع مازال في فراشه وحديث الولادة... كيف نكلمه؟!!!...

٤ ـ صوت عيسى عليه السلام في المهد:

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾. [مريم]... يتبادر إلى ذهننا الحوار التالي:

عيسى: ينطق ويقول: أنا عبد الله... آتاني الكتاب(الإنجيل)... وجعلني نبياً مباركاً....وأوصاني بالصلاة والزكاة طيلة حياتي...وجعلني باراً بأمي... وسلام عليّ من ربي... يوم ولادتي... ويوم موتي... ويوم بعثي من قبري!!!.

أهل مريم: يلتفتون إلى بعضهم في دهشة وحيرة ويتعجبون: إننا لا نكاد نصدق ما سمعناه... إنها معجزة... إنها براءة مريم من السماء... إنه اصطفاء لها من الله!!.

ثالثاً: النمط الحسي. والبعض الثالث أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ رهبة مريم عند رؤيتها للملك لأول مرة:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾.[مريم].

٢ ـ خوف مريم من هذا الحمل وابتعادها عن أهلها عندما اتخذت مكاناً قصيا:

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٧].**وقوله تعالى:** ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾.[مريم].

٣ ـ خوف مريم من الفضيحة بأن لا يصدقها أهلها بهذا الطفل عند العودة به بعد الولادة:

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾.[مريم:٢٧].

ولك أن تتخيل الموقف النفسي لمريم في كل موقف من المواقف السابقة،...هل ممكن أن تتخيليه أيتها الإبنة العفيفة وأنت لم تتزوجين ولم تمارسي البغاء؟.... هل لك أن تتخيله معي أيها الأب الصالح لابنتك العفيفة الشريفة؟... إن الأمر يختلف باختلاف الطبيعة الإيمانية للإنسان ومعايشته القرآن وفطرته وتنشئته...





الباب الثالث



فن الحوار والسرد في قصص القرآن الكريم



الفصل الأول
طبيعة المشهد والحوار في القصة القرآنية

السرد والحوار في القصة القرآنية:

من المعروف أن القصة القرآنية الفنية تعتمد على الحوار والسرد في بنائها والمحاورات القصصية أمر لا غنى عنه وبخاصة في الرواية، لأن طولها يستدعي - بل يوجب - تنوع أسلوبها بين الوصف السردي والحوار والمحاورة في المسرحية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها. بل هي الركيزة في الأسلوبية الوحيدة، إذا استثنينا بعض الأوصاف التي يكتبها مؤلف المسرحية للمكان، أو للشخصيات لتكون عوناً للمخرج عند ظهور المسرحية ممثلة، وهو ما يعرف بالتوجيهات المسرحية، والمقصود بطبيعة الحوار هو بيان سماته الفنية، ومنها مناسبته للشخصية وللموقف القصصي، ومنها بيان دوره في تطوير الأحداث وتصعيدها، ومنها بيان قدرته على تقديم الشخصية وتصويرها تصويراً صحيحاً يتفق وصورتها الحقيقية، ولكل من هذه السمات أمثلته الموضحة.

والمحاورات القصصية في القرآن الكريم لها شأن عجيب، من حيث قدرتها على بيان مدى المقاومة بين أطراف الحوار، تلك المقاومة التي لابد من توافرها لكي ينشأ الموقف الذي يجسم صراعاً بين قوى مريدة، وأخرى مانعة قاهرة، والمغالبة بين هذه القوى هي التي تؤدي إلى تصعيد الحدث إلى ذروة تنتهي بتغلب إحدى القوتين على الأخرى... وعلى قدرة قوة الصراع بين أطراف القصة تكون المقاومة في المحاورة[1].

---

(1) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ص٧٥، ٧٦.

ولكي تتضح هذه القاعدة التي تحكم بناء المحاورات في القصص القرآني نقف مع بعض المحاورات لنتبين صدق ما ندعي أولها بين رب العزة سبحانه وبين الملائكة في خلق آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.[البقرة].

ليس في هذه المحاورة صراع أو مقاومة بين طرفيها، ولكن غاية ما يقال عنها: إنها نوع من المراجعة من الملائكة لرب العزة سبحانه وتعالى؛ لأن الملائكة هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾. [التحريم].

فهم لا يملكون القدرة الحافزة على المقاومة والصراع. وإنما دفعهم إلى هذه المراجعة ما سبق إلى علمهم بأن ذرية هذا الخلق الجديد سيكون منهم إفساد في الأرض وسفك للدماء، وعلمهم بصفة هذه الذرية يدعو إلى الاعتقاد بأن ثمة حذفاً في هذه المحاورة، وقد وقع هذا الحذف في الجزئية المتصلة بالطريقة التي علمت منها الملائكة بصفة ذرية آدم[1] بادروا بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وعجبهم منصب على أنّ الله ـ سبحانه ـ يستخلف من هذه صفة مكان من يطيعه ولا يعصيه وهم الملائكة[2].

(١) انظر: تفسير الطبري .ج١ ص٢٠٩،٢١٠.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المجلد الأول ،ج١ ص١١٥،١١٦.

إن طبيعة المحاورة هنا تعتمد على اختلاف طرفي الحوار، الخالق - سبحانه وتعالى - وهو صاحب المشيئة المطلقة، والمخلوقون الذين لا يعصون لله أمراً، وإذا جاءت المحاورة على هذه الصفة،إذا لم يتعدّ الطرف المقهور - وهم الملائكة - طور المراجعة إلى ماهو أشد منها، من مقاومة أو صراع، ولم يلبث هذا الطرف المقهور أن أعلن الاستسلام والخضوع حين بدت لهم مشيئة الله في خلق آدم وتفضيلة على غيره من المخلوقات فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾.

وفي هذا القول تأكيد منهم لشخصياتهم وصفتهم الملتزمة طاعة الله دائماً، ومراجعتهم للخالق - سبحانه - لاتعني بحال خروجهم عن هذه الطاعة، بل تؤكدها،إذ سرعان ماردوا الأمر برمته إلى علم الله فور ظهور الدليل أمامهم على أفضلية هذا المخلوق الجديد.

ومن اللطائف في بناء هذه المحاورة، أنّ القاريء قد ينظر إلى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ فلا يدري أهذا الجعل قد كان فعلا وقت بداية المحاورة أم سيكون فيما بعد؟ ثم يقرأ قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ فيفاجأ بخطاب الله لآدم عليه السلام وهو كان فعلا،وإن آدم أصبح خلقًا مستوياً مؤهلاً للخطاب،مؤهلاً أيضاً لتلقي العلم،وفي هذا إيذان وإرهاص بقرب انتهاء المحاورة؛ لأن الحدث الذي هو موضوع المراجعة قد تم فعلاً، ولذا لم يكن من الملائكة مراجعة بعد ذلك، بل كان منهم الخضوع والإذعان لمشيئة الله سبحانه.

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦)

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ (١٨)﴾. [الأعراف].

إن شخصية «إبليس» مصورة في هذه المحاورة أوضح مايكون التصوير، وهو هنا ذو وجهين مختلفين أشد الاختلاف، وجه ينبيء بالذلة والصغار، ووجه يوحي بالتمرد والكبر والخروج على طاعة الله، وقد أوضحت المحاورة هذين الوجهين دون أدنى تدخل من السرد الوصفي.

ويمكن أن نلخص الوجه الأول والوجه الثاني «لإبليس اللعين» في الجدول التالي:

الوجه الأول	الوجه الثاني
١ ـ وقوفه أما ربه صاغراً حين سأله عن سبب امتناعه عن السجود.	١ ـ اباته وامتناعه عن السجود لآدم، وعصيانه أمر ربه.
٢ ـ في صدور الأمر الإلهي بالهبوط، والأمر بالخروج وتوعده بالصِّغار.	٢ ـ ادعائه أنه خير من آدم لأنه خلق من نار، وآدم خلق من طين.
٣ ـ في وقوفه مستعطفاً سائلاً ربه النظرة.	٣ ـ اجابة الله ـ سبحانه ـ له طلب الانتظار.
٤ ـ في تكرار الأمر بالخروج مذءوماً مدحورا.	٤ ـ في مبالغته في توعد بني آدم، والانتقام منهم.

ومن العجيب حقا أن يتصف إبليس بهذه الصفات المتناقضة في آن واحد، فبينما يعلن خيريته على آدم، ويقدم الدليل على هذه الخيرية. وهو اختلاف مادتي الخلق (النار والطين). إذ هو يعود فيستعطف ربه سائلاً إياه أن ينظره إلى يوم البعث، فلما

أجيب على طلبه، دون تحديد الموعد الذي طلبه،عاد إلى تمرده، ولكنه لاينسى قدرة ربه فيقسم بها ليسلكن كل سبيل إلى إغواء ذرية آدم،ولاينسى قدرة ربه أيضاً فيعلن أنه إذا استطاع أن يغوي الكثرة الكاثرة من هذه الذرية ويصدهم عن ذكر الله؛ فإن بعضهم لن يستجيب لغوايته ولذا قال ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. لأن الأمر مردود على الله سبحانه، ولذا صرح في آية أخرى:﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾. [ص].

إن إبليس خلق من خلق الله، ولو شاء الله ـ سبحانه ـ أن يقسره على الإيمان والسجود لآدم لقسره، أو لهداه إلى السجود كما هدى الملائكة، ولكن الله ـ سبحانه ـ أعطاه حرية الاختيار، وصان له هذه الحرية، ومن هنا يبدو الفرق بين هذه المحاورة والمحاورة السابقة بين رب العزة والملائكة بشأن خلق آدم ، فالمحاورة السابقة لم يكن فيها تجاذب لأطراف الحوار؛ لأن الملائكة سرعان ما أذعنوا لمشيئة الله ـ سبحانه ـ ولكن إبليس ـ وقد أعطى قدراً كبيراً من الحرية ـ راح يلج باب الحوار، فيما يشبه الجدل أحياناً ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف]. وفيما يشبه التحدي لذرية بني آدم أحياناً أخرى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ونلاحظ، أن إبليس كان كثير الكلام بعد إجابة الله ـ سبحانه ـ طلبه في الانتظار، أما قبل ذلك ، فكان كلامه قليلا إلى حدٍ ما، وإن كان لايخلو من جرأة ظاهرة؛ وذلك لأن إجابة طلبه زادته جرأة، ولعل ذلك سبب التفضيل الظاهر في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾. [الأعراف].

إن النقاد يؤكدون أن الحوار يجب أن يكون مناسباً للشخصية وللموقف القصصي، وها هو ذا القرآن الكريم يضع القاعدة القصصية قبل أن يعرف النقاد حرفية الفن القصصي، وقبل أن يهتدوا على معايير جودة المحاورات بزمن طويل.

أما السمة الثانية وهي دور الحوار في القرآني في تطوير الأحداث وتصعيدها فيتضح من خلال هذه القصة: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾. [المائدة].

ولننظر في البناء اللغوي المحكم - بل المُعجز - لهذه القصة، لنرى كيف أن الأسلوب القرآني ضرب صفحاً عن كثير من الأمور التي لاتتعلق لنابها ولا غرض يعود علينا من ذكرها، فمن هما ابنا آدم هذان؟، وما السبب الذي دفعهما إلى أن يقربا قرباناً؟ هذه الأمور لا مكان لها في القصة القرآنية؛ لأنها لاتفيد شيئاً سوى إشباع الفضول البشرى، والفضول البشري لاوزن له في منهج القصة القرآنية، وإنما مكانه في القصص البشري الفني!!!.

كل ماذكرته القصة أنهما أخوان قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، وبهذا صرنا في قلب الأحداث قبل أن تكتمل الآية الأولى من القصة!! وأعجب من هذا أننا نصير إلى ذروتها الدامية بعد أول جملة حوار ينطقها الأخ الذي لم يتقبل منه، «قال لأقتلنك» والملحوظ أنها الكلمة الوحيدة التي نطق بها هذا الأخ، ولكنه

قالها في إصرار عنيد، وتوكيد جازم، وكأنه يريد أن يسد أمام نفسه كل سبل العودة إلى المسالمة والموادعة التي يقتضيها واجب الأخوة، ورابطة الدم بين الأخوين!!.

وهذه الكلمة الوحيدة، تصور نفس هذا الأخ وما في داخلها من دوافع الشر، وإصراره عليه، وهي تصور - أيضاً - اختلاط الشر بهذا الإنسان وامتزاجه به، ثم هذا الإغراء الذي يقوده عليه، وكأنه يشرف به على خير يجتنبه أو نعيم يعيش فيه[1]، وعلى عادة الأسلوب القرآني في ضبط الحركات النفسية تقول القصة عن هذا الأخ الظالم ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ .[المائدة].حتى نفهم، أنه ليس ثمة قوى خارجية أثرت فيه حتى يقرر قتل أخيه كالشيطان مثلاً، وإنما الأمر أولا وأخيراً شر ذاتي محض، وحقد دفين في نفسه، كما تدل هذه الكلمة على أن في نفس هذا الأخ صراعاً نفسياً داخلياً، وإلا ما كان في حاجة إلى عملية التطويع هذه[2].

إن عنصر الشر هنا كان كلامه قليلاً وفعله مؤثراً غاية التأثير،وإذا كانت هذه الكلمة(لأقتلنك) تمثل إرادة الإنسان الباغي الظالم؛ فإن الكلام الكثير الذي جاء على لسان عنصر الخير، يمثل إرادة الإنسان الوادع المسالم، فهنا إرادتان متقابلتان، إحداهما مصرة على القتل، والثانية مصرة على ألا تدفع عن نفسها، ويعلن صاحبها حيثيات حكمه بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾. [المائدة]. وانتصار إرادة الظلم بقتل الأخ أخاه، إيذان بنهاية الأحداث؛ ولكن ليست إيذاناً بنهاية القصة، فما زال في القصة ومضة تضيء جانباً من جوانب النفس الإنسانية، تلك الومضة هي:قول القائل بعد أن رأى الغراب يبحث في الأرض: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾. [المائدة].ولأن القرآن

(1) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه،ص٢١٩،٢٢٠.

(2) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم،ص٧٥، ٧٦.

هو الصدق المطلق، كان من المستحسن أن يرينا الومضة اللامعة في نفس هذا الأخ، فإن كل إنسان يرتكب جرماً أو معصية لا بد له أن يعود إلى نفسه، وأن يعود إلى رشده، فيندم على مافعل من جرم وما ارتكب من معصية تلك هي طبيعة الإنسان العاقل السوي،الذي قد تغلبه نفسه أو يغلبه شيطانه، وهكذا كان ابن آدم.

ويلاحظ أن الحوار هنا، قد خلا من عناصر غيبية غير بشرية سواء الملائكة أو الجن أو الشيطان، ولعل المقصود من القصة التأكيد على استقلال الإنسان، ومسئوليته عن اختياره فيما استخلف فيه، ويمكن أن يعد الغراب بديلاً عن هذه العناصر ليشد الإنسان إلى الأرض التي خلق من ترابها وقد فعل ومن الواضح في المحاورات السابقة أنه على قدر قوة الصراع بين أطراف القصة تكون المقاومة في الحوار، ويؤكد ذلك أمران:

أولهما:أن هناك محاورات قرآنية ـ وإن تكن غير قصصية ـ تنعدم فيها المقاومة تماماً؛لأن المحاورة بين قوى متكافئة. ولهذا لا تلبث القضية أن تحسم بطريقة الإقرار والتسليم، وفيها نجد الحوار قصير جداً وحاسماً كقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾.[فصلت].

وثانيهما: أن هناك محاورات قرآنية تشتد فيها المقاومة وتعنف عنفاً ظاهراً،لأن الصراع فيها بين قوى متكافئة من حيث القوة ولاتعني بالقوة هنا القوة العادية فقط، ولكن القوة المعنوية لها حسابها في ميزان التحاور بين أطراف القصة، وربما كانت مقدمة على القوة المادية في حسم نتيجة المحاورة لصالح أحد طرفيها.

ومثل هذه المحاورات العنيفة نجدها تطول وتمتد حتى إن بعضها يشغل مساحة كبيرة من كتاب الله ـ عز وجل ـ ومن أوضح مايمثل هذا النوع من المحاورات، محاورات «موسى» ـ عليه السلام ـ مع فرعون في غير سورة من سور القرآن الكريم،

ومحاورات فرعون مع الرجل المؤمن من آله، ومحاورات «إبراهيم» - عليه السلام - مع أبيه وقومه.

لقد سبق أن نوهنا على أنّ للقرآن الكريم طرائق شتى تحكم توزيع الحوار والسرد في القصص الوارد فيه، ولذا نجد السرد في أول القصة،وفي آخرها،وبين المشاهد.وكما نجد الحوار في مراحل الحدث المتعددة،تجده في مراحل التعرف، والتصعيد، والعقدة والحل، وبخاصة في القصص المطول، وذكرت أيضاً إلى أنّ السمة البارزة أيضا في أسلوب القصص القرآني هي أن السرد لايأتي إلا حيث يجب أن يكون الأسلوب سرداً وصفياً، وكذلك الحوار لايأتي إلا حيث يفرض الموقف أن يكون الأسلوب حواراً، فكل منهما لايغني عن الآخر في موضعه.

وتتضح هذه السمة بجلاء إذا تأملنا إحدى قصص القرآن المطولة، وفيها نركز الحديث عن المواضع السردية، مع إشارات سريعة إلى بعض سمات الحوار.

يقول تعالى في بداية قصة موسى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾. [طه].هذه هى الآيات الأولى من القصة، وفيها تتضح البداية السردية الخالصة في الآية الأولى، التي تبدأ بهذا الاستفهام الذي يلفت الأنظار ويستحوذ على اهتمام القاريء والسامع، وينبه إلى أن أمر عجيباً سيحدث،أو سيظل من خلال هذه الآيات عن موسى، وقد تكررت هذه البداية السردية المعتمدة على أسلوب الاستفهام في مواضع أخرى من القصص القرآني، كقوله تعالى في بداية قصة «موسى» أيضاً: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾. [النازعات]. وفي هذه المواضع يعقب الاستفهام حدث غريب وأمر عجيب، وهذا الحدث الغريب هنا هو رؤية موسى النار، وغرابته نابعة من أن موسى في وقت وفي مكان لايتوقع فيهما رؤية

النار، ولذا قال:إني آنست ناراً، وقد رجا من وراء ذلك أن ينتفع بشيء منها، أو يجد عندها من يهديه الطريق.

ولا تكاد القصة تبدأ سرداً حتى تتحول إلى أسلوب الحوار،في يسر وسهولة ولطف وذلك في حديث موسى لأهله، ثم يقطع هذا الحوار في جملة سردية تصف بداية ما حدث لموسى عندما أتى النار، وهو مفاجئته بحديث رب العزة إليه،وحواره معه.

وقد وقف البلاغيون كثيراً أمام إطالة موسى ـ عليه السلام ـ في جواب ربه حين سأله عن العصا فقال موسى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾. [طه]. وقالوا إن «موسى» أراد أن يطيل المقام مع رب العزة وآنس بلذة الحديث معه،وهذه حقيقة واضحة في كلام «موسى»،غير أن التعليل لذلك بالأنس بالحديث مع رب العزة وحده يقطع الآية من سياقها، ولنا أن نلحظ في حديث«موسى»الذي وقع في آية واحدة قد سبقه حديث أطول منه مع رب العزة جاء في ست آيات،قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾. [طه].فالله سبحانه وتعالى يوحي لموسى بالرغبة في مواصلة الحوار، بدليل هذا السؤال، ويريد أن يستل الخوف من نفسه في هذا الموقف العجيب الذي كان مفاجأة لموسى، ولذا جاء رد «موسى» مسهباً،ملائماً للموقف أيضاً.

ولنا أن نلحظ ـ أيضاً ـ أن رد «موسى» المطول عن العصا ليس هو الموضع الوحيد الذي وقع فيه إسهاب من «موسى» بل هنا موضع آخر أكثر إسهاباً وأشد

طولاً، فموسى بعد أن رأى من أمر العصا هذا العجب العجاب، وعرف أن ذلك بعض آيات الله إزداد رجائه في كرم ربه فجاء حديثه بعد ذلك أكثر طولاً من حديثه عن العصا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾. [طه].

كما جاء حديث رب العزة إليه مسهباً ـ أيضاً ـ إذ أجابه إلى ما دعا به،ثم ذكّره بما امتن به عليه في صباه المبكر،يوم ولد في جو مشحون بالخوف والحذر من «فرعون» وآله، ثم ساقه الله تعالى ليربى في بيت عدوه «فرعون» ثم نجاته من الغم بعد أن قتل المصري، وفراره إلى مدين، حتى جاء إلى هذا الموقف العظيم الذي يخاطب فيه رب العزة ويخاطبه.

ولعل المراد من ذلك كله هو اطمئنان «موسى» إلى عناية الله التي ستصحبه في مهمته الشاقة التي كلف بها في أثناء المحاورة، وهي ذهابه إلى «فرعون» وهكذا يتبين أن طبيعة الموقف القصصي هي السر الأول في بناء هذا الحوار المتصف بالاسهاب من طرفيه كليهما[1].

الموضع السردي الثاني في هذه القصة يأتي في وسط حوار «موسى» مع رب العزة بشأن العصا: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾. [طه].

إن «موسى» ـ عليه السلام ـ أخبرنا بما يعرفه عن عصاه، وبين مهامها لديه من وجهة نظره هو، تلك المهام التي تتلخص في اتكائه عليها، وسوقه غنمه بها، بالإضافة إلى مآرب أخرى لم يبينها، ثم يتلقى أمر الله ـ سبحانه ـ بان يلقي هذه

(١) انظر: في ظلال القرآن،ج٤ ، ص٢٢٣٣،٢٢٣٤.

العصا، وقد لايدري أن وراء هذا الإلقاء أمراً عجيباً وحدثاً مبهراً يكشف عن مهمة أخرى من مهام العصا، ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ هذه الجملة السردية القصيرة جاءت بين جمل حوارية متعاقبة لتؤدي دوراً عظيماً لم يكن الحوار ينهض به، والمتلقي للقصة هو المعنى بهذه الجملة السردية،لأن «موسى» قد شاهد الحدث الجليل الذي تصفه، شاهد تحول العصا إلى حية عظيمة على الأرض في خفة ونشاط فخاف وولى مدبراً.

والمتلقى حين يقرأ هذا الوصف يحس مثل ما أحسه «موسى» ويفاجأ مثل ما فوجيء، فالأسلوب القرآني أراد أن ينقل الحدث، وينقل صورة الموقف، وما صاحبه من مشاعر التوجس والخوف، فصاغ ذلك كله في هذه الجملة السردية، وقد أفادت الفاء الأولى سرعة الإلقاء وأفادت الفاء الثانية سرعة تحول العصا إلى حية، وأنها ليست حية فحسب، وليست جامدة في مكانها، ولكنها حية تسعى، فيها خصائص الحية جميعها.

وفي بعض المواضع السردية من هذه القصة نجد خصيصة قرآنية لاتلمح لها أثراً في القصص البشري،وتتمثل هذه الخصيصة في أن هناك عناصر غيبية تتدخل في الحوار، فتقطع ما بين المتحاورين، تأخذ الموقف منهم،لتدلي برأيها فيما يتحاورون فيه،لتقيم لأحد الطرفين حجته أو تقوّي منطقه، أو تقوِّي موقفه[1].

نقرأ قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا

(١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه،ص١٢٦.

لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾. [طه].

فنرى في بدايتها حواراً بين «موسى» و«فرعون» وهو حوار يحمل كثيراً من الجدل والتحدي،ففرعون يسأل عن القرون الأولى ما بالها؟ ولا يكاد «موسى» يعطي الجواب الذي رآه حتى ينطق عنه الحق ـ سبحانه ـ بما يكمل الجواب على أتم صورة وأفضل بيان.

وهذا عمل لا يكون في غير القرآن، «ولا يقع في قصص غير قصص القرآن،حيث تقوم قدرة الله وتدبيره على كل شيء وحيث لا تقع حركة، أو تكون همسة في مواقف القصة إلا على هذا التقدير،ومن هنا كان تقليب الأمور فيها على هذا الوجه أمراً متوقعاً،غير منكر ولا مستغرب،على حين أن ذلك في العمل الأدبي ـ الذي يخلي فيه الكاتب مكانة المتحاورين ـ يعد تطفلاً وتمحلاً لا تدعو إليه ضرورة» ولا يحتمله الموقف،أو يتقبله الحال، وفي القصة موضع آخر يبرز هذه الخصيصة ويوضحها، وذلك قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾. [طه].

والحوار هنا يسير في طريقه المقدر له، ومعه بعض الجمل السردية التي لا يخرج أسلوب القصة عن طبيعته. يفاجأ المتلقى بتدخل عنصر القدرة الإلهية القائمة خلف الأحداث والأشخاص، تتدخل لتصحح المسار وتلقي في روع «موسى» أنه الأقوى، وأنه الأعلى، وأن ماطاف بنفسه من خوف لا مكان له في هذا الموقف الحرج.

ومن المعجب أن كلام الله تعالى إلى «موسى» ورد مسبوقاً بالفعل (قلنا) الذي يدل على الحوار،وإسناد الفعل إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، يدل على هذه القوة العلية،التي أدركت «موسى» في هذا الوقت العصيب، وقد سمع «موسى» كلام ربه بأذنه أو بقلبه فواجه الموقف ثابتاً بعد أن ردّ إليه هذا الحديث .

إن القصص البشري ليس فيه مكان لمثل هذا الأسلوب من القول، وإذا حدث فإنه يعد شيئاً غريباً،أو خطأ وقع فيه .

وآخر موقع سردي نقف معه في هذه القصة قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾. [طه].

إن الحوار في هذه القصة منطلق انطلاق السهم إلى الرمية، لايقف في سبيل تقدمه شيء ولذا نلحظ على جمل السرد التي تعترض هذا الحوار أنها قصيرة وسريعة، لايكاد القاريء يلحظها رغم أهميتها في تصوير الموقف، وإيضاح جوانب المشهد، كما نلحظ ان الوصف الذي يأتي وسط الحوار يلبس أحياناً ثوب الحوار أيضاً، كما مر في الموضع السابق من قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه]...إلخ. وكما نرى في هذا الموضع،فإن الأسلوب القرآني ماكاد يقطع الحوار بين «موسى» والسحرة بقوله: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ [طه]. حتى أخذ الأسلوب يحكي مقالة السحرة فيما بينهم، والتي جاءت في صورة حوار جانبي،إذ أخذ السحرة جانباً بعيداً عن «موسى» يديرون فيه حوارهم أو نجواهم،التي لا يريدون لموسى أن يسمعها، وعندما انتهى الحوار

الجانبي استغنى الأسلوب عن الوصف، وعاد إلى الحوار مرة أخرى، ومن بديع الحرفة القصصية هنا أن الأسلوب اكتفى - في وصف عودة السحرة إلى قلب المشهد مع «موسى» - بكلمة (قالوا) التي جاء بعدها النداء (ياموسى) لنعلم أنهم قد التفتوا إليه منفذين ماتفقوا عليه سراً، وبهذا جعل السياق كلامهم يصف الحركة الواقعة في أثناء المشهد دون حاجة إلى وصف ذلك بسرد يقطع الحوار، اللهم إلا كلمة (قالوا) وهي ضرورية في أسلوب القصة، كما أنها تعد أقل قدر من السرد في القص،لأنها تعدل - فقط - أسماء الأشخاص التي توضع بإزاء أقوالهم التي تحرك الحدث في النص المسرحي[1].

وهكذا نرى الدقة البالغة التي يبنى عليها أسلوب السرد في القصة القرآنية، ونرى - أيضا - الإعجاز في المزاوجة بين السرد والحوار على نحو يتضائل أمامه ألوان التأليف البشري، الذي لا يخلو من الثرثرة والهذر حتى عند أعظم الكتاب براعة في الكتابة القصصية.



(١) لمزيد من شرح هذا الأسلوب القصصي: انظر: بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم،ص١٩١ ومابعدها.

الفصل الثاني

طبيعة المشهد والحوار في القصة البشرية

أولاً: القصص القرآني والأدب المسرحي

لقد كان القصص القرآني مصدر إلهام لبعض كتابنا المعاصرين يستمدون منه موضوعات قصصهم ومسرحياتهم وكان منهم من يحافظ على الخيوط الأساسية للقصة القرآنية التي استوحاها، فلا يخرج عن إطارها وكان منهم من يقدم دواعي الفن القصصي أو المسرحي على قداسة الموضوع القرآني.فيبيح لنفسه أن يغير ويبدل في جوهر القصة أحياناً بما يخرجها عن إطارها الذي رسمه القرآن الكريم،إما استجابة لدواعي الفن ـ كما قلت ـ وإما إلى الاستغناء عنه في كثير من المواقف القصصية الغريبة التي قصها.

ومن المفيد هنا أن نعمد إلى محاورتين: إحداهما من القرآن الحكيم،والثانية محاورة مسرحية مستوحاه من القصص القرآني، ونضعهما متجاورتين، لا لرغبة في الموازنة بينهما، فذلك أبعد ما يكون من القصد ولكن لنعرف طبيعة المحاورة فيهما؛ لأن تشابه الموقفين أو المشهدين القصصيين يجعل من اليسير التعرف إلى هذه الطبيعة فيهما،من حيث تقديم الشخصيات تقديما مناسبا صحيحاً.



ثانياً: قصة «سليمان» عليه السلام....

ومسرحية «سليمان الحكيم» «لتوفيق الحكيم».

قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾. [النمل].

استوحى هذا المشهد الكاتب «توفيق الحكيم» فصور «سليمان» ـ عليه السلام ـ وسط أعوانه من الإنس والجن فكتب يقول[1]:

سليمان: تجول برأسي فكرة لو حققها أحدكم أعطيته كل ما يتمنى.

الجميع: مرنا أيها الملك.

سليمان: أريد أن تجلس على عرشها.

الجميع: عرشها!

سليمان: نعم ... أيكم ... يأتيني الآن بعرشها قبل أن تأتي؟

الجميع: عرشها!

سليمان: نعم .... أيها الجن؟ ...أيكم يستطيع ذلك؟

(يتقدم العفريت صخر من بين صفوف الجن)

---

(١) مسرحية: «سليمان الحكيم» ... «توفيق الحكيم» ،ط دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر، ص٦٣:٥٨.

صخر: أنا أستطيع....

سليمان: أنت ياصخر؟

صخر: أنا آتيك به أيها الملك.

سليمان: متى؟ متى؟ ...

صخر: قبل أن ينقضي النهار.

سليمان: ولكنها آتية بعد قليل.

صخر: إن المكان بعيد يامولاي... إني سأحمله إليك من مملكة «سبأ».

سليمان: وددت لو أنها جلست على عرشها الآن عند قدومها.

(داهش الجني يشق الطريق مسرعا إلى الصياد هامساً)

الجني: (هامساً) أنا آتيه به قبل أن يرتد إليه طرفه ...

الصياد: (هامساً) اسكت ....

سليمان: ماذا يقول عفريتك أيها الصياد؟

الصياد: لاشيء يامولاي ...

سليمان: كأنه يتحدث عن عرش «بلقيس» ....

الصياد: إنه يمزح يامولاي ...

الجني: أهذا وقت المزاح أيها الغبي ...

سليمان: حقاً ليس هذا وقته ... فيم كان حديثك إذن؟

الجني: عرشها .. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك!!.

سليمان: أأنت واثق من إمكان ذلك؟!

الجني: ضعني موضع الامتحان.

سليمان: وإذا أخفقت ... أتعلم ما الجزاء؟

الجني: حبسي في القمقم . وإعدام الصياد.

الصياد: (كالمخاطب لنفسه) لاحول ولاقوة إلا بالله ...

سليمان: أسمعت أيها الصياد؟

الصياد: سمعت.

سليمان: أنت كما تذكر مسئول عن تبعات فعاله.

الصياد: إذن فلابد أن لا يذهب أبداً.

الجني: بل دعني أيها الصياد أذهب.

الصياد: أيها الملك ... لاتدعه بربك يضيعني ... هذا الفاجر المغرور!

الجني: لاترتعد خوفاً أيها الأحمق، إنها فرصة طالما انتظرتها لإظهار عبقريتي.

الصياد: بل هي فرصة لإظهار مصائبك التي ستحل على رأسي!.

الجني: (ويلكم الصياد) تفاءل ... تفاءل.

الصياد: آه ليتني لم أجد في شبكتي قمقمك النحس،وقنعت بالحمار النافق

الجني: أيها الصياد الأحمق ... لاتقف عثرة في سبيل طموحي.

الصياد: (في عجب) متى جاء بهذا!

سليمان: صدق صاحبك الجني إنها العبقرية.

الصياد: حمداً لك يارب السموات.

سليمان: إنه حقاً لعمل عجيب!

(الصياد يفيق من ذهوله ويحس بالفخر).

هذه هي المحاورة التي استوحاها الكاتب من القصة القرآنية، وتوفيق الحكيم واحد من أبرع كتاب الفن في أدبنا العربي الحديث. وكان بطبيعته يميل إلى تفضيل الكتابة المسرحية، التي تبدو فيها براعة في إدارة الحوار[1].

ولذا كنا ننتظر هنا حواراً خالياً من العيوب الفنية، لكننا فوجئنا بغير ما توقعنا، ولكن من الإنصاف أن نقول: إن معرفتنا بطبيعة الحوار في القصة القرآنية هي التي دلتنا على معايب الحوار عند الكاتب نفسه. ولو لم تكن هذه المعاني مستوحاه من القرآن لخفيت هذه العيوب، بل تلاشت كليةً.

وأول ما يلاحظ أن ما قدمه الأسلوب القرآني يمكن أن يندرج تحت ما يسمى في عالم الفن بالمشهد المسرح[2] وهو المشهد الذي يتكون من حوار محض، أي حوار مع توجيهات مسرحية مختصرة، أو حوار مصحوب بتقرير سردي ومركّز للغاية، وبالنظر إلى المشهد القرآني، لا نجد الأسلوب لجأ إلى التوجيهات المسرحية، سوى مرة واحدة، هي قوله تعالى: (فلما رآه مستقراً عنده) وهذا ما يعرف في التأليف المسرحي باختفاء روح المؤلف الفني إلى التوجيهات المسرحية في المشهد إحدى وعشرين مرة. فكان يضع بين قوسين (.....) ما يريده إسداءه من توجيه، هو في المقام الأول موجه إلى الممثل وإلى المخرج الذي يقوم بإخراج مسرحيته إن أريد إخراجها وتمثيلها.

(١) انظر: فجر القصة المصرية ، يحيى حقي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٧م ص١٣٤: ١١٧.

(٢) انظر: مجلة فصول، العدد١١ سنة١٩٩٣م. من مقال بعنوان: العناصر الجوهرية للمواقع السردية. كارل فرانز، ترجمة عباس التونسي، ص٦١.

ومن الملحوظ ـ أيضاً ـ أن ما حكاه القرآن الكريم، في ثلاث آيات فقط يحتل ستة أسطر من سطور المصحف حكاه المؤلف في ست صفحات من مسرحيته، وقد يكون هذا التطويل، في المشهد الفني راجعاً إلى رغبة المؤلف في إشباع غريزة الفضول البشري، الذي لا يعجبه أن تمر مثل هذه الأحداث الغريبة عليه مرور الطيف،وكانت هذه الرغبة مزلقاً خطيراً أوقع المؤلف في تناقض واضح،هذا التناقض يتصل بتصويره شخصية نبي الله «سليمان» ـ عليه السلام.

إن غرض المؤلف ـ من المسرحية هو إظهار القدرة الفائقة التي يمتلكها هذا الملك النبي، ويمكن أن نعرف ذلك من خلال هذه الجمل المسرحية التي أوردها المؤلف على لسان «سليمان» في حواره مع بلقيس:

سليمان: إني عجزت عن نفعك ونفع نفسي:في يدي القدرة الهائلة... في يدي الأعاجيب والعبقرية والمواهب ... في يدي الكنوز، أنا الملك العظيم والنبي الحكيم ... أنا المسيطر على الجن والناس ... والرجال والأموال ... هل أجدى شيئاً أمام قلبك[1] .

وفي هذه المحاورة ماينـاقض غرض المؤلف في إظهار قدرة«سليمان» إذ يبدو«سليمان» في بداية المحاورة ـ متردداً في إصدار أمره بإحضار العرش، فهو يدير الفكرة في رأسه أولاً، ثم إنه يغري الحاضرين ويحفزهم على تنفيذ فكرته بأنه سيعطي من يحققها كل مايتمني.

وجعل الكتاب جند «سليمان»: يستغربون لرغبته في إحضار عرش «بلقيس» قبل

(١) مسرحية «سليمان الحكيم» ص:١٤١.

- وانظر: مسرح توفيق الحكيم. د/ محمد مندور،ط دار نهضة مصر للطبع والنشر. الطبعة الثالثة، دون تاريخ ص، ٦٩:٧٢.

أن تأتي حتى إنهم يتساءلون مرتين في دهشة:عرشها؟! وكأنهم لايدركون مبلغ قوة «سليمان». وجعل الكاتب الإذن للجني«داهش» يصدر من الصياد لا من «سليمان» نفسه، وكأن«سليمان» لا سلطان له على«داهش» وإنما أمره بيد الصياد، و«سليمان» يتبع مع الصياد أسلوب الترغيب والترهيب، فهو سيعاقب إذا أخفق الجني، وسيثاب عن فوزه، الذي يشك فيه كثيراً ، وإذا قال «سليمان» مخاطباً الجني:«أأنت واثق من إمكان ذلك».

هذه كلها مظاهر ضعف رسم شخصية«سليمان» تتعارض مع الصورة الكلية التي أراد الكاتب رسمها من خلال المسرحية ولعل الكاتب وقع في هذا التناقض بسبب رغبته الجامحة في تصوير أطراف المشهد وإدخاله عناصر أخرى في المحاورة لم يكن لها وجود في المشهد القرآني.

ولننظر الآن في الأسلوب القرآني المعجز، لنرى هذا الإيجاز الذي لا نظير له ولا يمكن لبشر أن يضاهيه مهما أوتي من بلاغة وبيان، أورد الأسلوب القرآني مقالة العفريت من الجن الذي عرض أن يأتي بالعرض قبل أن يقوم«سليمان» من مقامه، ثم أعقبها مباشرة بمقالة (الذي عنده علم من الكتاب)، وبين المقالتين فجوة فنية كبرى يستطيع القارىء أن يتمثلها وأن يملأها من خلال تصوراته عن الموقف الذي تحكيه الآيات لعل بلقيس كانت على وشك أن تأتي و«سليمان» يريد أن يفاجئها بوجود عرشها في قصره ومن الطبيعي أنه لم يقبل مقالة العفريت من الجن لأنه سيأتي بعد مجيء بلقيس، وبذلك لا تتحقق المفاجأة، وربما استبطأ «سليمان» العفريت»[1]، فرفض ماعرضه عليه ولكن الأسلوب القرآني لم يقل ذلك صراحة،

(١) انظر: تفسير القرطبي: ج٧، ص: ٤٩٢٠:٤٩٢١.

- والكشاف، ج١: ص٢٦٧. والتصوير الفني في القرآن، ص٢١٣.

لأنه مفهوم من الموقف.

وبعد مقالة الذي عنده علم من الكتاب نجد فجوة أخرى يمكن أن نفهمها ـ أيضاً ـ وأن نعرف مافيها من أحداث، وأن سليمان ـ عليه السلام ـ لم يبد اعتراضاً على ماقاله،بل أمره بتنفيذه، ولكنها ـ على أية حال ـ فجوة سريعة خاطفة، لم تستغرق من الوقت إلا بمقدار ماستغرقه مجيء العرض على يدي الذي عنده علم من الكتاب.

والملحوظ ـ على محاورة الكاتب ـ أنه حاول أن يملأ هاتين الفجوتين، فأتى بهذا الحوار الطويل الذي يشبع رغبته ورغبة القرّاء في معرفة التفاصيل التي ضرب الأسلوب القرآني عنها صفحاً.

والملحوظ أخيراً أن هناك تزويراً واضحاً أحدثه الكاتب في الحدث، إذ جعل مجيء العرض على يد العفريت، وهو ما رفضه الأسلوب القرآني، لأن القرآن لا يريد أن يجعل للجن قوة ولو كانوا من جن «سليمان» عليه السلام.

وأحب أن أضيف هنا ملحوظة هامة[1]: فقد لاحظت أن «توفيق الحكيم» قد ضيق منهج التفسير القرآني وجعل القضايا الغيبية، وكأنها قضايا مشاهدة «في عالم الشهادة» فمثلاً: قال: إن الذي نقل عرش بلقيس هو « داهش الجني» علماً بأن الشيخ الشعراوي رحمه الله قال بأن الذي نقل عرش بلقيس هو « سليمان» ـ عليه السلام ـ لأنه هو الوحيد في ذلك الزمن الذي كان عنده علم من الكتاب. والله أعلم.



(١) تعليق المؤرخ والمفكر الإسلامي: سمير الحفناوي.

ثالثاً: قصة أهل الكهف .....

ومسرحية «أهل الكهف» «لتوفيق الحكيم».

ثمة عدة أسئلة قد ألحّت على الكاتب «توفيق الحكيم» فكتب مسرحية من أربعة فصول،ومعظم أحداثها وقعت بعد استيقاظ «أهل الكهف» ، وهذه الأسئلة تدور حول الرسول الذي ذهب من «أهل الكهف» إلى المدينة ليحضر لهم الطعام ، ومن هذه الأسئلة:

كيف كان شكله .... بعد أن نام هذه السنين .... التي تزيد عن ثلاثمائة سنة؟

كيف رأى طريق ... ذهابه .... إلى المدينة .... على بعد عهده به؟

ماشكل المدينة آنذاك؟ .... ومن ذلك الذي قابله ....أول الأمر؟

ما النقود التي كانت معه؟ ....وهل كانت مستخدمة .... في ذلك اليوم؟

وكيف عامله الناس؟ .....إلخ.

كل هذه الأسئلة وغيرها أضرب السياق القرآني عن الخوض فيها، وسكت عن الإجابة عنها، وقد أضمر السياق هذه الأحداث كلها في فجوة واحدة من الفجوات التي بين المشاهد.

ومسرحية «توفيق الحكيم» .... تدور أحداثها بعد أن استيقظ أهل الكهف، أي مكان الفجوة التي تركها الأسلوب القرآني.... كما كان يستدعي بعض الأحداث السابقة بالحوار إلى خشبة المسرح. وقد غيّر الكاتب كثيراً من الأحداث، وبدّل من

مضمون القصة القرآنية، وحاد بها عن وجهتها الدينية الواضحة إلى وجهة أخري فنية تماماً، فجعل المسرحية تحكي ... قصة حب بين رجل وامرأة ... لا قصة مضروبة للدلالة على قدرة الله على بعث الموتى.... وحدد عدد الأشخاص في المسرحية ... فجعلهم ثلاثة:« مرنوش» و« مشلينا» والراعي « يمليخا» ... ومعهم كلب الراعي «قطمير» ؛ وزوّر الكاتب تزويراً واضحاً في رسم هذه الشخصيات وزوّر في الهدف من خروجهم ولجوئهم إلى الكهف ... وبذلك إنحرف انحرافاً كبيراً عن منهج القصة القرآنية.

وفي بداية الفصل الأول من المسرحية نقرأ الحوار التالي[1]:

مشلينا : (وهو أحد الرجلين) يامرنوش!

مرنوش: استيقظت؟ ماذا تريد مني؟

مشلينا : أين أنت؟ أسمع صوتك المتبرم ولا أراك... آه ظهري يؤلمني!

مرنوش: دعني أنا أيضاً ضلوعي توجعني كأنما نمت عليها عاماً.

مشلينا : أين الراعي؟ أين ثالثنا الراعي؟

مرنوش: أتبين شبح كلبه هنا باسطاً ذراعيه.

مشلينا : ألا ترى هذا الراعي يتجنب قربنا، أين هو؟

مرنوش: لعله بباب الكهف يرقب طلوع النهار، شأن الرعاة.

مشلينا : (يتمطى) آه ظهري يؤلمني! كم لبثنا يامرنوش؟

مرنوش: أف إنك تحرج صدري بأسئلتك!

---

(١) أهل الكهف، أ/ توفيق الحكيم، ط المطبعة النموذجية / نشر مكتبة الآداب سنة ١٩٨٥م، ص١٩:٢١.

مشلينا : أنا كذلك لو تعلم ضيق الصدر مثلك، مرنوش كم لبثنا هنا؟

مرنوش: يوماً أو بعض يوم.

مشلينا : ومن أدراك؟

مرنوش: وهل ننام أكثر من هذا القدر؟

مشلينا : صدقت(صمت) ، (وفجأة يقول وهو نافذ الصبر) أريد الخروج من هذا المكان.

مرنوش: ويحك! إلى أين؟

مشلينا : أو تريدني المبيت هنا ليلة أخرى؟

مرنوش: ليلتين أو ثلاثاً حتى نأمن على حياتنا من دقيانوس.

مشلينا : (صائحاً متذمراً) لا أستطيع، لا أستطيع.

مرنوش: ولم أستطيع أنا، وأنا لي إمرأة وولد أعزهما وأعبدهما؟

مشلينا : أنت ستبقي حياتك من أجلهما.

وهكذا يمضي الكاتب في تصويره شخصيات «أهل الكهف» غاضبة ساخطة غير صابرة، وقد استيقظوا من نومهم متبرمين ساخطين، وقد ألمّ بهم وجع الضلوع، آلام الظهر، وضاق صدر كل منهم بأخيه، فلا يُحدّث أحدهم أخاه إلا وهو نافذ الصبر، وقد دلت كلمات الحوار على ذلك دلالة واضحة مثل (أسمع صوتك المتبرم ولا أراك - ظهري يؤلمني - أف إنك تحرج صدري بأسئلتك - أنا كذلك لو تعلم ضيق الصدر مثلك) ونرى ذلك في التوجيهات المسرحية التي كتبها المؤلف مثل :(يقول وهو نافذ الصبر - صائحاً متذمراً)[1] وغير ذلك كثير في الفصل الأول من المسرحية.

---

(١) انظر: قصص القرآن بين المفسرين والقصاص قديماً وحديثاً د/ طه عبد الفتاح مقلد ، دون تاريخ، ص١٤٧:١٤٨. =

ومن الواضح أن القصة القرآنية صورتهم غير ذلك تماماً،يقول تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ .[الكهف].

إنهم قاموا يذكرون الله، ولم يصبهم ملل ولا ضجر ولا ألم، ولم يقولوا غير الحق، وهم ينكرون ما انتهى إليه قومهم حين أشركوا بالله، واتخذوا من دونه الأصنام آلهة فقال بعضهم لبعض: ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾. [الكهف].

إن القنوط الذي أصاب أهل الكهف في المسرحية كان مرجعه إلى أن الكاتب جعل سبب فرارهم دنيوياً لا دينياً محضاً، «فمشلينا» كان أخوف ما يخاف عليه، زوجته وولداه، ولم يكن يستبقي حياته إلا من أجلهم ، «ومرنوش» إنما خرج لأن الملك قد عرف بحبه ابنته، ولو رد الكاتب خروجهم إلى سببه الحقيقي ، وهو الفرار بالعقيدة لما كان هناك مسوغ لهذا القنوت.

إن المؤلف كان مسوقاً قبل كل شيء بدواعي الفن المسرحي، وما يقتضيه من المواقف التي تحيى قصته، ومع ذلك فقد جانبه التوفيق في كثير من الأمور الفنية مما جعل كثيراً من النقاد يوجهون له بعض المآخذ. ومن هنا نعلم أن الرغبة في الفن وحدها ربما لا تنتج فناً بريئاً من المآخذ، ولكن نبل المقصد في القصص القرآني أنتج لنا فناً هو في الذروة بين الفنون.



= ومسرح توفيق الحكيم،د/ محمد مندور، ط نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثالثة، دون تاريخ،ص٤٣ ومابعدها.

رابعاً : قصة يوسف عليه السلام ....
و«رواية الغفران» لثروت أباظة

إن الكاتب «ثروت أباظة» استوحى قصة «يوسف» ـ عليه السلام ـ وأخرجها في ثوب عصري، وأخذ كثيراً من أحداث القصة القرآنية في قصته ومنها حادث المراودة، وماترتب عليه من لغط بين النساء. وجعل الكاتب شخصية «زهيرة» في مقابل امرأة العزيز، وجعل شخصية «وجدي» في مقابل شخصية عزيز مصر. وجعل «وجدي» عاجزاً عن إتيان زوجته «زهيرة» لكي يسوغ لها بذلك مراودة «صديق» الذي يقابل شخصية «يوسف» ـ عليه السلام، وكان الزوجان قد صدما «صديق» بسيارتهما بعد أن فر من «الملاهي» حين سمع أخويه يتآمران معاً على قتله، فأخذاه وربياه حتى صار على أعتاب الجامعة، ورغبت فيه الزوجة وراودته عن نفسه، ولكنه أبى أن يخون من رباه وعلمه، واقترح «صديق» أن يسهل له «وجدي» دخول السجن؛ إذ كان يعمل ضابطاً بأحد السجون. ثم علمت الزوجة أن ألسنة النساء تتناولها بالتهمة ففعلت مثلما فعلت إمرأة العزيز في القصة القرآنية.

كتب المؤلف مصوراً هذا الموقف فقال[1]:

« تأكدت «زهيرة» أن زوجها سيكون غائباً عن البيت في يوم الأربعاء، فاختارت هذا اليوم لكي تدعو إلى الشاي جميع اللواتي اتهمتها بالعيون اللائمة أو العيون المتسائلة، أو العيون المتلصصة .. أو بالابتسامة الخبيثة وأصرت أن تدعو اللواتي تجرأن وسألنها كيف حال «صديق» ؟ وكان هذا السؤال غريباً، لأن «صديق» كان

(١) رواية الغفران، ثروت أباظة، دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر١٩٨٨م ص٩٣،٩٤.

بالنسبة لصويحباتها شبحاً يسمعن عنه ولا يرينه منذ قدم إلى البيت.

دعت لهن جميعاً وأعدت لهن حفلة شاي باذخة، وأكثرت فيها من الفاكهة، واختارت التفاح بالذات، وذهبت خصيصاً إلى من يسن السكاكين فيجعلها بالغة الحدة ... وذهبت أيضاً إلى أحد المصورين وأعطته صورة صغيرة عندها، وطلبت إليه أن يكبِّرها بالحجم الطبيعي.

وجاءت المدعوات، وقدمت إليهن التفاح، وانتظرت حتى بدأن يقشرن التفاح وأزاحت الستار عن الصورة المكبرة لصديق، فبدت الصورة وكأن صاحبها هو الماثل لا الصورة، وارتبكت السكاكين في أيدي النسوة وقطعن أيديهن وتصايحن ... هذا ملاك ... لم نر مثل هذا الجمال ... ليس هذا من البشر ... لا تلمني إذن وأنتن قطعتن أيديكن.

وسترت الصورة، وفهم المدعوات أنه لا معنى لبقائهن بعد ذلك ... فقد أسدل الستار على نهاية التمثيلية التي ألفتها «زهيرة».

هذا هو الموقف الذي استوحاه الكاتب، وقد استغرق عنده ما يقرب من عشرين سطراً يسبقها صفحتان استغلها في وصف الحديث الذي دار على ألسنة النساء عما دار بين «زهيرة» و«صديق» ،ووصف التجهيز لهذه التمثيلية التي ألفتها «زهيرة» أو على الأصح التي ألفها الكاتب.

ولنا أن نلحظ الافتعال في سرد الحدث؛ فالزوج سيغيب في يوم الأربعاء، صويحباتها يسألن عن حال «صديق» ، وهو شبح بالنسبة لهن، لأنهن لم يرينه من قبل أي منذ أن التقطته هي وزوجها وهو صبي صغير إلى أن صار شاباً قوياً يقف على أعتاب المرحلة الجامعية أي أكثر من عشر سنوات، ولا أدري كيف يكن صويحباتها ثم لا يرينه أبداً، إنها محاولة الكاتب لكي يحتفظ بمفاجأة النسوة بجمال «صديق»

الباهر، ويبلغ الافتعال قمته حين تذهب المرأة إلى أحد المصورين ليكبر لها صورة، ولم يقل الكاتب إنها صورة «صديق» ارتبكت السكاكين في أيديهن فقطعتها، في مشهد مفتعل غاية الافتعال.

وإننا نلحظ ـ أيضاً ـ هذا الحرص على بعض التفاصيل التي ذكرها الكاتب مثل الإكثار من الفاكهة، واختيار التفاح بالذات، وذهابها إلى من يسن السكاكين فيجعلها بالغة الحدة، هذه أوصاف زائدة، والكلمة الزائدة في القصة تعد طعناً في ذكاء القارئ، واتهاما له بالغباء.

لقد رأينا في الموقف القرآني كيف كان الأسلوب سريعاً يدلف بالقارئ المشاركة الإيجابية في تصور الموقف القصصي. وصدق الله إذ يقول في قصة «يوسف» نفسها: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾. [يوسف].

ولاشك أن (الأحسنية) هذه أحسنية فنية في بعض نواحيها.

لقد اختلفت طبيعة المشهد عند الكاتب عنها في القرآن الكريم، أي اختلفت طريقة تقديم الحدث، وطريقة التعبير عنه، برغم أنه استوحى الموقف كاملاً من القرآن، استوحاها بكل عناصره وملابساته وذلك مع أنه واحد من أكثر الكتاب وعياً بأساليب السرد القصصي في القرآن الكريم.

النتائج الهامة لهذه الدراسة

١ ـ أن معظم القصص القرآني يقوم على المزاوجة بين الحوار والسرد، وبذلك يرفض المنهج القرآني، ما جنح إليه كثير من كتّاب القصة القصيرة حالياً من إهمال عنصر الحوار إهمالاً كبيراً، لأن الاعتماد على السرد وحده يجعل القصة أشبه ما تكون بالخبر.

٢ ـ أن القرآن الكريم يهدم ما أتى به الواقعيون والرومانسيون في نظرة كل منهما إلى الشخوص القصصية.

٣ ـ يحرص القصص القرآني على تأكيد وحدة الحدث، وأن يكون الحدث الرئيسي في القصة ممتداً من بدايتها إلى نهايتها، له بداية ووسط ونهاية، وذلك يشير إلى خطأ الاتجاه الجديد في الكتابة الفنية، الذي يميل أصحابه إلى جعل القصة مجموعة من الخواطر المتناثرة، التي لا يجمعها موقف واحد، ولا يربط بينها حدث واحد.



خامساً: الفرق بين القصة القرآنية والقصة البشرية

إن دراسة القصة في القرآن الكريم وتحليلها من حيث عوامل التأثير فيها، ودورها في الدعوة والتربية وغرس الإيمان، وتحليل عناصرها من حوار وأحداث وشخصيات تكشف ما فيها من إبداع فني لا نظير له، وتفصح عن أسرار إعجازها البياني، وتؤدي إلى إقناع عقلي يلتزم بالحجة، ويهدف إلى الحق، وهذا هو أهم أهداف البحث، وإن مجالاً خصباً لدراسات أدبية تثري الأدب الإسلامي وتعمقه.

وحسبنا أن نشير هنا إلى أهم ما يختلف فيه القصص القرآني عن القصص البشري على النحو التالي:

أولاً: أن القصة الفنية: ككل أثر فني يترجم عن مشاعر وانفعالات امتزج صاحبها بظروفها؛ ومارسها، وعانى تجربة نقلها إلى مشاعر أخرى، وليست في غنى عن علم النفس الذي يرتاد مثل هذه المجالات بحثاً وتحليلاً، فيهتدي على ضوء ما يستخلصه من ذلك الأثر الفني إلى خفايا نفسية ضائعة، فيحللها، ويدرسها وهي طريقة مألوفة لدى نقاد الأدب« إذ يتوصلون إلى نفسية الشاعر وتوضيح معالمها من خلال شعره، ونفسية القاص من إنتاجه القصصي، باعتبار أن هذا الإنتاج الأدبي تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل بها صاحب الإنتاج، وإن اختلفت هذه القيم من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر».

أما القصة القرآنية: فلا تخضع لهذه الطريقة من الجهة النفسية إلا من خلال أحد جانبيها، وهو تحليلها لمعرفة عوامل التأثير فيها، ومدى استجابة القلوب لما تدعو إليه،لأن مصدرها خالق النفوس الذي يعلم السر وأخفى.

أما الجانب الثاني: المتعلق بذات منشئها ـ سبحانه وتعالى ـ وهو المنزه عن كل ما يتأثر به البشر من عواطف، فإنما أمرنا أن نفكر في خلقه وآلائه ،لا في ذاته.

ثانياً: القرآن الكريم ـ من خلال قصصه ـ يعرض علينا حقائق في صور تستسيغها عقولنا وأذواقنا، وتهفو إليها عواطفنا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾. [يوسف].

فالقرآن الكريم مدرسة متميزة في الأداء القصصي ، وضع الأسس الصحيحة لفن الكلمة الجميلة المؤثرة،قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾. [آل عمران:٦٢].

وهو بهذا يختلف عن قصص البشر التي يدخلها الخيال حتى وإن اتكأت على مهاد من الواقع أو التاريخ.

ثالثاً: القرآن الكريم يصف النفوس كما هى، وكما يجب أن تكون ليجعل من الواقع نقطة انتقال نحو مثالية لا يقدر على الإقتراب منها غير المؤمن بالقيم الإسلامية،الجاد في بلوغ مراتبها.

رابعاً: يؤلف القصص القرآني على اختلاف مقاصده ـ وحدة في العقيدة قوامها: تجربة شعورية دينية يطمئن إليها فكر الإنسان المسلم ووجدانه، وهي حقيقة لا بد من اعتبارها في نظرتنا إلى هذه القصص، حتى اقترنت وقائعه بخوارق غير مألوفه، كإحضار عرش بلقيس في قصة سليمان، وإحياء الميت في قصة بني اسرائيل، وآية البعث في قصة ابراهيم.

فإذا فحصت هذه الوقائع وأمثالها بعين تنظر إلى الوجود نظرة شاملة،فإنها تكشف عن إرادة تجري على سنن تثير العقل للنظر لا للبحث عن المؤثرات الطبيعية للأشياء في عالم الغيب، ولكن ليبحث فيما وراء تلك الوقائع، وما تدل عليه،وما لها

من انعكاسات في النفس على طريقة التنبيه والإيقاظ، لمواجهة موضوع الفكر والإيمان، قصد التوصل إلى إدراك الحقائق التي يعرضها القرآن الكريم على الفكر الإنساني السوي.

خامساً: مع اهتمام القرآن الكريم بالأشخاص في قصصه، فإنه قد يكتفي بذكر بعض صفاته كما جاء في قصة موسى عليه السلام وفتاه، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾. [الكهف].

فاستغنى القرآن بوصفه عن ذكر اسمه. وكما ورد في قصة ثمود قال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾. [الشمس]. فهذا الذي انبعث لعقر الناقة لم ير القرآن الكريم فائدة من التصريح باسمه، ولكنه اكتفى بذكر أهم صفة من صفاته النفسية، وهي أنه أشقى رجل في ثمود.

سادساً: كثيراً ما يعرض الحديث مجرداً من الزمان والمكان اللذيْن وقع فيهما الحدث ، لكن قد يكون لهما أو لأحدهما مجال في سير الأحداث، او إضاءتها فيتعلق الغرض بذكره، كما قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾. [يوسف]. فقد حرص القرآن على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة وهو العشاء، هذا الجزء من الليل الذي تستّر أخوة يوسف بظلاله لحبك مؤامراتهم، وإنجاز مكيدتهم السوداء كظلام هذا الليل.

سابعاً: البعد عن الغموض والإبهام، استناداً إلى طبيعة القرآن الكريم من أنه كتاب دعوة وبلاغ وإبلاغ ، وبيان وتبيين، ومن ثم فإن القصة فيه تحرص على الإشباع العقلي والوجداني، دون حيرة أو إبهام حتى يتبلور التأثير ويتوحد فكراً ونفساً، ويمهد السبيل لرحلة جديدة من التفكير والتذكر واتخاذ موقف واضح.

ثامناً: ارتباطها بالواقع التاريخي والحقيقة فلا خيال وإنما الصدق مع الحبكة الدقيقة.

تاسعاً: تمتاز بالحرص على استيعاب الأبعاد المختلفة للشخصية، وخاصة نطاق الإنفعالات النفسية، والتفاعلات العقلية،والممارسات السلوكية.

عاشراً: توظيف «الكلمة» في الجملة، أو النسق العام، توظيفاً فريداً بحيث تبدو كعنصر أساسي يستحيل أن يتم البناء الفني بدونها.

حادي عشر: الإيجاز والتركيز،أو مايسمى«بالتكثيف» وإذا جاء تكراراً فيبدو وكأنه صيغة جديدة قمة في الإبداع والإشراق، تبعث على الاهتمام والمتابعة، والشعور بالاستمتاع والرضا والحماسة عند كل المستويات التثقيفية دون ملل أو ضجر.

ثاني عشر: شرف الغاية، حيث تهتم بنقل المتلقي من حال سيئة إلى حال طيبة، وهو ما يطلق عليه: لحظة التنوير، حيث تشتمل نهاية القصة على تلك اللحظة المترقبة التي يرنو إليه المتلقي من خلال هيكل سردي متصل ينمو حتى يصل إلى لحظة الكشف والإضاءة من خلال تشويق المتلقي لمعرفة ما يتم بين شخصيات القصة وما الذي ينتهي إليه الموقف.

ثالث عشر: القصة القرآنية ليست عملاً فنياً حراً، وليست طليقة من القيود، وإنما هي هي مقيدة بغرض ديني ـ كما نبه إلى ذلك بعض الدارسين ـ ومن النتائج المترتبة على ذلك:

أ ـ أن الأسلوب القرآني قد يقطع تسلسل الأحداث ويستغني عن تواصل المشاهد القصصية، إذا كان في ذلك خدمة للغرض الديني.

ب ـ أن القصة القرآنية لا تعمد على الإثارة غير المجدية في تصوير الأحداث مهما

كانت ضخامتها وغرابتها، فالأسلوب القرآني لا يطيل الوقوف عند الأحداث الضخمة إلا بقدر ما يخدم الغرض الديني من القصة.

ج - يختلف أسلوب تقديم الحدث أو الشخصية في القصة القرآنية عنه في القصة البشرية، لأن الغاية الدينية هي المقدمة على ما سواها في قصص القرآن، بعكس الكُتّاب الذين يقدمون دواعي الفن على غيرها من القيم الأخرى.

د - القصة القرآنية لا تحفل بالتحليل النفسي للشخوص، بمعنى أنه لا يوجد في القرآن قصة للتحليل النفسي من أوله إلى آخرها بالمعنى الذي تعارف عليه النُّقاد، لأنّ القرآن لا يعنيه أن يقدم فناً، وإنما هو كتاب توجيه يعنيه أن يتعامل مع الظاهر المعلن في حياة الشخوص.

هـ - ليست الشخصية مرادة لذاتها، وإنما يعرضها القرآن بوصفها نموذجاً يتحرك في الحياة بخيرها وشرها، وليس الحدث مراداً لذاته، وإنما هو معرض للإنسان النموذج، لذا يعرض بالقدر الذي يطلع المتلقي على معدن هذا الإنسان.

و - الأسلوب القرآني يتجاوز لحظات الضعف البشري في حياة الشخوص، ليصل سريعاً إلى لحظة الإفاقة التي تعقب التردي، بعكس الكُتّاب الذين يطيلون الوقوف في مواقف النشوة، ليصوروا الرذائل بأسلوب مبالغ فيه، وذلك بحجة الواقعية.

رابع عشر: هناك قواعد قصصية سبق القرآن الكريم بها مبدعي فن القصة الحديثة، فهي قواعد مشتركة بين القصة القرآنية والقصة البشرية، ولكن تطبيق القرآن لها جاء بأسلوب أقوم من تطبيق الكتاب ومنها:

أ - سبق القرآن الكريم إلى تأكيد قاعدة « الاقتصاد الفني» وهي تعني أنه لا يجوز للقاص أن يصف إلا ما يدعّم الحدث القصصي الذي اختاره ليدير حوله قصته،

وذلك بأن يتخلى عن كثير من التفاصيل التي لا تفيد القارئ في شيء.

ب ـ أن الإضمار القصصي ظاهرة تعد أصلاً من أصول البناء الفني للقصة القرآنية، ونعني بالإضمار إسقاط كثير من الأحداث، لغاية دينية أو فنية، وهذا الإضمار لم تهتد إليه القصة البشرية إلا في العقود الأخيرة.

ج ـ قد تجمع القصة القرآنية الواحدة بين أصول القصة القصيرة، والقصة الطويلة معاً، وهو ما اصطلح عليه النقاد حديثاً باسم« التصميم».

د ـ سبق القرآن الكريم إلى تأكيد أن الحوار يجب أن يكون مناسباً للشخصية وللموقف القصصي، وأن تكون المقاومة في القصة على قدر قوة الصراع بين أطرافها.

خامس عشر: هناك قواعد مشتركة بين القصة القرآنية والقصة البشرية، ولكن استخدام القصة القرآنية لها يختلف عن استخدام القصة البشرية، منها:

أ ـ أن القصة القرآنية لا تهتم بذكر شخصية المرأة إلا إذا كان لها دور تستدعيه الأحداث، ويحتمه الموقف ، فهي لا تستجلب المرأة دون دور، ولا تكون عاملاً من عوامل المتعة والإثارة والتشويق كما يفعل الكُتّاب.

ب ـ أن النموذج البشري في القصة البشرية، نموذج محدود يبدأ من شخص معين، ثم ينتهي بأن يكون نموذجاً لنمط معين من الناس، أما النموذج البشري في القصة القرآنية فلا يبدأ من شخص، ولكن يبدأ من فكرة تصدق على نمط معين من الناس ، ولذا فهو يتصف بالشمول.

ج ـ يتصف الحوار في القصة القرآنية بالذاتية التي يحتفظ بها للمتحاورين، فهو يعبر عن ذواتهم وشخصياتهم أصدق تعبير، وهذه الذاتية ـ بالرغم من حرص النقاد على وجودها في القصص ى البشري ـ لا تكاد تتحقق في قصة بشرية كاملة.

سادس عشر: هناك أمران خاصان بالقصص القرآني، وهما:

أ ـ أن هناك عناصر غيبية تتدخل في الحوار القرآني، فتقطع ما بين المتحاورين، وتأخذ الموقف منهم، لتدلي برأيها فيما يتحاوران فيه، وتقيم لأحد الطرفين حجته، أو تقويها،، وهذا الأمر حين يحدث في القصة القرآنية لا يكون غريباً ولا مستنكراً، لأن زمام الموقف كله يكون بيد القدرة الإلهية المهيمنة، وإذا حدث مثل ذلك في القصص البشري، كان ذلك عيباً في الأسلوب، وخللاً يصيب الحوار.

ب ـ تقرن القصة القرآنية بين الموعظة والعرض الفني ، فهي تقدم الفن والوعظ المباشر الصريح الذي يبين الغرض الديني منها ، وفي القصة البشرية يحرص الكاتب إلى عدم اللجوء إلى الوعظ المباشر، بل إن ذلك ـ إن حدث كان عيباً يبعد القصة عن الفن.



سادساً: المقترحات والتوصيات

فيما يلي بعض المقترحات التي ظهرت لي أثناء الدراسة:

١ ـ يجب زيادة الجرعة التي يتلقاها طلاب كليات العلوم الشرعية في كافة دول العالم، مثل كليات أصول الدين، وكليات الدراسات الإسلامية، وكليات اللغة العربية، وكليات علوم القرآن، وطلاب الأزهر، وذلك عن القصة، بوصفها عمل فني وعقد مقارنة بين القصص البشري والقصص القرآني.

٢ ـ أن تتواصل الدراسات حول القصص القرآني، وتركز الدراسات بصفة خاصة حول: دراسة القصص المستوحى من القرآن الكريم دراسة فنية تطبيقية وافية، تنفي عن منهج القصة القرآنية ما شابه على أيدي بعض كتاب الفن القصصي.

٣ ـ يجب على الباحثين الذين يضربون أمثلة عن القصص الرمزية في القرآن الكريم أن يأخذوا بعين الاعتبار أن القصص التي لم يرد بعض أسماء الشخصيات بها ولكنها وردت في الأحاديث النبوية الشريفة ، أصبحت قصص واقعية لأنه لا يوجد فصل بين القرآن والسنة وهذا ما وقع فيه كثير من الباحثين في علوم القرآن.

٤ ـ يجب تدريب الباحثين بعمل جداول خاصة في الجوانب السمعية والبصرية والحسية في القصص القرآني ولقد ضربت في ذلك بمثالين، وهذا ما تفرد به البحث عن سائر البحوث الأخرى.

٥ ـ عند دراسة الأزمنة في القصص القرآني كعنصر أساسي من عناصر القصة القرآنية، يجب التركيز على أن الزمن في القصة البشرية طبقاً لقوانين السببية في الحياة، أما الزمن في القصة القرآنية لا يتبع هذه القوانين ويكسر حواجز الزمن

الماضي والحاضر والمستقبل مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ فهنا جمع الله بين الزمن الماضي والمستقبل لأنه خالق الزمن فقوله ليس فيه جدال.



خاتمة

الحمد لله تعالى على أنه وفّقني ، وأذن لي أن أتكلم عن ذاته وعن صفاته وعن كلامه، فالكلام عن ... الله .... سبحانه وتعالى .... هو أفضل نعمة وهبة ... من ... الله تعالى ... على العبد في الدنيا .... والحديث لا يتسع له الكم الكثير من الصفحات عن «الإبداع الفني للقصص القرآني» ... وإنما أردت أن ألتمس طرف الخيط عن الحديث عن إعجاز وبيان «كلام» الله تعالى ... ومازال الخيط موصولاً ... يلتقطه من هو أفضل مني ... ليضيف لمسة فنية ... ويوضح معلومة كامنة .... ويفسر آية كونية .... ويظهر صورة بيانية .... ويشجب آراءاً فاسدة .... ويحارب أفكاراً مدمرة .... ويبصر عقولاً مظلمة ... من عقول الأدباء الذين يطلقون لأفكارهم العنان ... في تأويل قصص القرآن ... ويلْوون عنق النص ليتحقق عندهم القصد .... فانحازوا عن الطريق ... وأضلوا الرفيق .... وليس كل الأدباء كذلك ... فمنهم من التزم الأدب مع الله ... وآمن بكل ماعند الله ... لا ينحازون لآراء الفجرة....ولا يتقيدون بحديث الكفرة ... ويخافون يوم الحسرة.

وأسأل الله تعالى أن يكون الكتاب ذا نفع لكل المسلمين والباحثين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامه ، وأن لا يؤاخذنا ربنا بجهلنا وما جهلنا به دون قصد.

تم الانتهاء منه يوم الخميس الموافق ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٩م الموافق وقفة عرفات لسنة ١٤٣٠هـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

أهم المصادر والمراجع

أولاً ـ القرآن الكريم.

ثانياً ـ مصادر ومراجع أخرى.

(١) الدينوري، ابن قتيبة.(دت). تأويل مشكل القرآن.(ط الأولى). لبنان: دار الكتب العلمية.

(٢) السيوطي، جلال الدين.(١٩٩٨م). الإتقان في علوم القرآن.(ط الأولى). بيروت: دار الجيل.

(٣) الرافعي، مصطفى صادق.(٢٠٠٣م).إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.(ط الثانية). لبنان: دار الكتب العلمية

(٤)الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب .(٢٠٠١م).إعجاز القرآن. لبنان: دار الكتب العلمية.

(٥) أحمد أمين:فجر الاسلام.

(٦) الأدب القصصي عند العرب ـ موسى خليل سليمان.

(٧)القيرواني، ابن رشيق.(٢٠٠٢م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.(ط الثانية). تحقيق :صلاح الدين الهواري، هدى عودة.دار ومكتبة الهلال.

(٨) البيان والتبيين للجاحظ.

(٩)العشماوي، عبد اللطيف.(٢٠٠٣م) .الأدلة الخطابية. المنصورة(مصر): كلية أصول الدين .

(١٠)العثيمين،محمد بن صالح. (دت). أصول في التفسير.

(١١) القرآن والشعر : دلال عباس . بيروت ، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

(١٢)ناصف، مصطفى.(١٩٥٨م). الصورة الأدبية.(ط الأولى). القاهرة: دار مصر.

(١٣)المحامي، محمد كامل حسن.(١٩٧٠م). القرآن والقصة الحديثة.(ط الأولى). الكويت: دار البحوث العلمية.

(١٤) جماليات الأسلوب «الصورة الفنية في الأدب العربي»، د. فايز الداية.

(١٥)عتر، نور الدين.(١٩٩٢م). القرآن الكريم والدراسات الأدبية.(ط الخامسة). دمشق: منشورات جامعة دمشق.

(١٦) الظواهري، محمد كاظم.(١٩٩١م). بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم.(الطبعة الأولى). دار الصابوني ودار الهداية.

(١٧) الكرماني،محمود بن حمزة، ت. عبد القادر أحمد عطا.(١٩٨٦م). البرهان في توجيه متشابها القرآن.بيروت: دار الكتب العلمية.

(١٨) بروكلمان، كارل، ترجمة:د. عبد الحليم النجار(١٩٦١م). تاريخ الأدب العربي.القاهرة: دار المعارف.

(١٩) قطب، سيد.(١٩٨٩م). التصوير الفني في القرآن.(الطبعة الحادية عشرة). القاهرة: دار الشروق.

(٢٠) ابن كثيراً إسماعيل.(دت). تفسير القرآن العظيم، دار الفكر العربي.

(٢١) أرنست رينان:تاريخ اللغة السامية.

(٢٢) ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام.

(٢٣) الجرجاني،الإمام عبد القاهر، ت:الشيخ محمد رشيد رضا(١٩٨٨م). دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية.

(٢٤) أباظة، ثروت.(دت) . السرد القصصي في القرآن الكريم.القاهرة: دار نهضة مصر.

(٢٥) الصابوني، محمد علي.(دت). صفوة التفاسير. سورية: دار الرشيد.

(٢٦) نجم، محمد يوسف.(دت). فن القصة. بيروت: دار الثقافة.

(٢٧) قطب، سيد.(١٩٨٧م). في ظلال القرآن.(ط الثالثة عشرة). بيروت: دار الشروق.

(٢٨) مندور، محمد.(١٩٤٤م). في الميزان الجديد.(ط الثالثة). القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

(٢٩) د/ محمد حسن النبوي:القصص الحديث النبوي.

(٣٠) ابن كثير، إسماعيل.(١٩٨١م). قصص الأنبياء. (ط الأولى).القاهرة: دار نهر النيل.

(٣١) الجامع لأحكام القرآن:القرطبي، ت أحمد عبد العليم البردوني،القاهرة،دار الشعب ،الطبعة الثانية، / ١٩٩٤

(٣٢) تفسير الطبري.

(٣٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

(٣٤) تفسير القرطبي.

(٣٥) تيمور، محمود(١٩٥٨م). القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره.

المطبعة الكمالية.

(٣٦) الخطيب، عبد الكريم.(دت). القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. بيروت: دار المعرفة.

(٣٧)القطان، مناع.(٢٠٠٠م).مباحث في علوم القرآن.(ط الحادية عشرة).القاهرة: مكتبة وهبة.

(٣٨)الصالح، صبحي.(١٤٠٢هـ). مباحث في علوم القرآن.(ط الرابعة عشر). بيروت: دار العلم للملايين.

(٣٩)ابن الأثير.(١٩٩٨م). المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب.(ط الأولى). ترجمة، تحقيق: محمد محمد عويضة. لبنان: دار الكتب العلمية.

(٤٠) الشيخ الشعراوي، محمد متولي.(١٩٨٨م). معجزة القرآن. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

(٤١)الجعلي، إبراهيم طه أحمد.(١٤٠٧هـ). من بدائع النظم القرآني. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي.

(٤٢)ناصف، مصطفى.(دت). نظرية المعنى في النقد الأدبي. بيروت: دار الأندلس.

٤٣) فن القصة،د/ محمد يوسف نجم دار الثقافة بيروت.

(٤٤) كليلة ودمنة في الأدب العربي، د/ ليلى حسن سعد الدين ـ مكتبة الرسالة ـ عمان.

(٤٥) لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، سعد حموده. .الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى، فتحية محمود فرج العقدة.

(٤٦) مسرحية: «سليمان الحكيم» ... «توفيق الحكيم» ،ط دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر.

(٤٧) فجر القصة المصرية ، يحيى حقي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٧م

(٤٨) مسرحية «سليمان الحكيم» .

(٤٩)مسرح توفيق الحكيم. د/ محمد مندور،ط دار نهضة مصر للطبع والنشر. الطبعة الثالثة، دون تاريخ .

(٥٠) أهل الكهف، أ/ توفيق الحكيم، ط المطبعة النموذجية / نشر مكتبة الآداب سنة ١٩٨٥م.

(٥١) قصص القرآن بين المفسرين والقصاص قديماً وحديثاً د/ طه عبد الفتاح مقلد ، دون تاريخ.

و: مسرح توفيق الحكيم،د/ محمد مندور، ط نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.

(٥٢) رواية الغفران، ثروت أباظة، دار مصر للطباعة، نشر مكتبة مصر١٩٨٨م

ثالثاً: مقالات علمية في دوريات متخصصة.

١ ـ مقال بعنوان: العناصر الجوهرية للمواقع السردية،

تأليف: كارل فرانز ستانزل، ترجمة عباس التونسي. مجلة(فصول) العدد الحادي عشر،١٩٩٣م.

٢ ـ مقال بعنوان:القصة القرآنية.تأليف:د/ الشفيع الماحي أحمد. بمجلة الوعي الإسلامي وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – دولة الكويت ، العدد٣٦٣ ذو

القعدة١٤١٦هـ/ ابريل ١٩٩٦م.

٣ - إسلام محمود دربالة: مجلة المجتمع الكويتية. عدد١٧٧٦ بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٧.

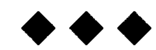
٤ - مجلة البلاغة والنقد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط٢ عام ١٤١٢هـ.

٥ - مجلة البلاغة والنقد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد الثامن رجب ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م

رابعاً: دوريات.

١ - ملحق أهرام الجمعة أعداد مختلفة بتاريخ:

١٣/ ٨/ ١٩٩٦م.



صدر للمؤلف

(١) المناظرات بين معلمي الرياضيات.... (القاهرة ـ مكتبة ابن سينا).

(٢) المنافسات بين معلمي الرياضيات(ج٢)...(القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد)

(٣) خمسون خطأ فني لمعلمي الرياضيات أثناء التدريس(القاهرة..مكتبة ابن سينا).

(٤) الطرائف والألغاز في الجبر والحساب (مكتبة جزيرة الورد ـ القاهرة).

(٥) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للمرحلة الإعدادية.(مكتبة جزيرة الورد) .

(٦) غرائب وحكايات علماء الفيزياء والرياضيات(٥ أجزاء..جزيرة الورد) صدر جزء واحد .

(٧) رحلة الأرقام العربية من العصور الغابرة إلى العصور المعاصرة (٣) أجزاء صدر منهم جزءان .... القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد).

(٨) السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين(مكتبة الإيمان ـ المنصورة).

(٩) أغرب القضايا في تاريخ علم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ تحت الطبع) .

(١٠) علماء الكيمياء الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١١) علماء الرياضيات الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٢) علماء الفلك والفيزياء الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٣) علماء الصيدلة والنبات الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٤)علماء الطب والحيوان الشعراء. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٥) النسبة الإلهية في المخلوقات الكونية (٣ أجزاء) . (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) صدر جزء واحد.

(١٦) الإبداع الفني والبيان في قصص القرآن الكريم. (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٧) هبات الرحمن في السنة والقرآن (مجلد). (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

(١٨) الضحك حتى البكاء على قبور المشاهير والعلماء.

(١٩) طبيبات وممرضات حول الرسول ﷺ . (القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد) .

قصيدة في الصلاة على رسول الله ﷺ

اقرءوها لتنعموا بفضلها :

يارِبِّ صَلِّ عَلى المُختارِ من مُضَرٍ | والأنبيا وجميع الرُّسْلِ ما ذُكِرُواْ
وصَلِّ ربِّ عَلَى الهادي وشيعته | وصَحْبِهِ مَنْ لِطيِّ الدِّينِ قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا | وهاجروا وله آوَوْا وقد نصروا
وبيّنوا الفرض والمسنونَ واعتصبوا | لله واعتصموا بالله فانتصروا
أذكى صلاةٍ وأنماها وأشرفِها | يُعطّرُ الكونَ من نشرُها العطِرُ
معبوقةٍ بعبيقِ المسكِ ذاكيةٍ | من طيبها أرجُ الرضوانِ ينتشِرُ
عدَّ الحصى والثَّرى والرملِ يتبعُها | نَجمُ السما ونباتُ الأرضِ والمَدَرُ
وعدَّ وزنِ مثاقيلِ الجبالِ كما | يليهِ قطرُ جميعِ الماءِ والمطرُ
وعدَّ ما حَوتِ الأشجارُ من ورقٍ | وكلُّ حرفٍ غدا يُتلى ويُستَطِرُ
والوحشُ والطيرُ والأسماكُ مع نعمٍ | يليهمُ الجنُّ والأملاكُ والبشَرُ
والذرُّ والنملُ مع جمعِ الحُبوبِ كذا | والشعرُ والصُّوفُ والأرياشُ والوَبَرُ
وما أحاط به العلمُ المحيطُ وما | جرى به القلمُ المأمورُ والقدرُ
وعدَّ نَعْمائِك اللاتي منَنْت بها | على الخلائق مُذْ كانواْ ومُذْ حُشِرُواْ
وعدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الذِّي شَرُفَتْ | بهِ النَّبيون والملاكُ وافتخرواْ
وعدّ ما كان في الأكوان ياسندي | وما يكونُ إلى أن تُبعثَ الصُّورُ
في كلِّ طرفةِ عينٍ يطرفون بها | أهلُ السمواتِ والأرضينَ أوْ يذَرواْ

ملءَ السّموات والأرضينَ مَع جَبلٍ	والفرشِ والعرشِ والكرْسي وما حصروا
ما أعدم اللهُ موجوداً وأوجد معدوما	صلاةً دواماً ليس تنحصِرُ
تستغرقُ العدَّ مع جمع الدُّهورِ كما	تحيطُ بالحدِّ لا تُبقي ولا تذرُ
لا غاية وانتهاءً يا عظيمُ لها	ولا لها أمدٌ يُقضى فيُعتبرُ
وعدَّ أضعافِ ما قد مرَّ من عددٍ مع	ضعف أضعافه يا من لهُ الْقدرُ
كما تحبُّ وترضى سيدي وكما	أمرتنا أن نصلي أنت مقتدرُ
مع السلامِ كما قدْ مرَّ من عددٍ	ربِّي وضاعفهما والفضلُ منتشرُ
وكلُّ ذلك مضروبٌ بحقك في	أنفاس خلقك إن قلّواْ وإن كثرواْ
يا ربِ واغفر لقاريها وسامعها	والمسلمين جميعا أينما حضروا
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا	والكل سيدي للعفو مفتقرُ
وقد أتيت ذنوبا لا عِداد لها	لكنّ عفوك لا يُبقي ولا يذرُ
أرجوك يارب في الدارين ترحمنا	بجاه من في يديه سبح الحجر

اللهم صلي على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .



الفهرس

الموضوع | الصفحة

الإهداء ٣
مقدمة ٥
الباب الأول: أسلوب القصة في القرآن الكريم ١٣
الفصل الأول: الفن القصصي وأغراضه. ١٥
١ ـ مفهوم القصة ١٥
٢ ـ دور القصة في الأدب العربي ١٨
٣ ـ آراء المؤرخين المنصفين للقصة في الأدب العربي ٢١
٤ ـ القصة في الإسلام ٢٦
٥ ـ عناصر القصة البشرية وعناصر القصة القرآنية ٢٩
٦ ـ أغراض القصة في القرآن الكريم ٤٤
الفصل الثاني: الخصائص الفنية للأسلوب القصصي في القرآن ٤٩
أولاً: مميزات أسلوب القصة في القرآن الكريم. ٤٩
ثانياً: الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم. ٥١
الباب الثاني: نماذج من القصص الرمزي والواقعي في القرآن الكريم ٥٣
الفصل الأول: القصة الرمزية في القرآن الكريم ٥٥
أولاً: نظرة عامة عن الرمز في القرآن. ٥٥
ثانياً:فوائد الرمز في القصص القرآني. ٥٧

الموضوع | الصفحة

ثالثاً: أمثلة على أسلوب القصص الرمزية في القرآن الكريم. ٦٠
(١) قصة صاحب الجنتين.. ٦٠
(٢) قصة العبد الصالح.. ٦٣
(٣) قصة ذو القرنين... ٧٢
الفصل الثاني: القصة الواقعية في القرآن الكريم ٧٥
أولاً: نظرة شاملة. ٧٥
ثانياً: فوائد القصص الواقعية في القرآن الكريم........................... ٧٥
ثالثاً: أمثلة على القصص الواقعية في القرآن الكريم........................ ٧٦
قصة يوسف عليه السلام.. ٧٦
شخصيات قصة يوسف عليه السلام. ٧٩
مستويات قصة يوسف عليه السلام. ٨٠
١٠٠ فائدة لقصة يوسف عليه السلام. ٨٨
الفصل الثالث: الجوانب البصرية والسمعية والحسية في قصص القرآن الكريم.. ١٠٧
أولاً: نظرة شاملة. ١٠٧
ثانيا: أمثلة على الجوانب البصرية والسمعية والحسية: ١١٠
(١) قصة فتية الكهف... ١١٠
(٢) قصة مريم وولادة عيسى عليه السلام. ١١٤
الباب الثالث: فن الحوار والسرد في قصص القرآن الكريم.................. ١٢١

الموضوع | الصفحة

الفصل الأول: طبيعة المشهد والحوار في القصة القرآنية. ١٢٣
السرد والحوار في القصة القرآنية. ١٢٣
الفصل الثاني: طبيعة المشهد والحوار في القصة البشرية. ١٣٨
أولاً: القصص القرآني والأدب المسرحي. ١٣٨
ثانياً: قصة «سليمان» عليه السلام.... ومسرحية «سليمان الحكيم» «لتوفيق الحكيم». ١٣٩
ثالثاً: قصة أهل الكهف ..... ومسرحية «أهل الكهف» «لتوفيق الحكيم». ١٤٦
رابعاً: قصة يوسف عليه السلام .... و«رواية الغفران» لثروت أباظة. ... ١٥٠
خامساً: الفرق بين القصة القرآنية والقصة البشرية ١٥٤
سادسا: المقترحات والتوصيات ١٦١
خاتمة ١٦٣
أهم المصادر والمراجع ١٦٤
صدر للمؤلف ١٧٠
الفهرس ١٧٨